يعرِّف هذا المقرّرُ الدراسيُّ الروحانيّةَ في سياق الواقع ويقدّم تطبيقات تعكس الرؤية المسيحية للعالم. وهو مقسّم إلى خمس وحدات: (1) مفهوم الروحانية، (2) الإحساس بالمقدس، (3) الروحانية المُفعَّلَة، (4) المجتمع الروحي، و(5) الحياة الروحية. قبل البدء بدراسته، يجب إجراء استبيان روحيّ. تُحتسب للمقرر ثلاث ساعات فصلية دراسيّة لمرحلة البكالوريوس.

الأهداف:

- شرح الروحانية من حيث الإيمان والعقل والعاطفة.
- تحليل حياة الشخص الروحي ضمن المجتمع الروحي.
- تقييم كيفية تطبيق الشخص الروحي المبادئ الأخلاقية في كافة نواحي حياته.

الوحدة الدراسيّة:

لنجاح هذا المقرّر الدراسيّ، يجب تحقيق 70٪ أو أكثر في كلٍّ من الامتحانات الثلاثة المتعدّدة الخيارات، بالإضافة إلى كتابة تأمّل شخصيّ من 1000 كلمة، ومقال من 2000 كلمة. يُشكِّل كلُّ عنصر من العناصر الخمسة 20٪ من المجموع النهائي. وفي ما يلي نموذج لمسألة امتحان:

الإيمان (أ) والعقل غير متوافقَيْن، (ب) يمكن تعريفه على أنّه من صنع تفكير الإنسان المنطقيّ، (ج) يعتمد على عمليّة عقلانيّة، (د) لا علاقة له بالعقل.

المصادر:

كافة القراءات المطلوبة متاحة عبر الإنترنت ومجانية، ويجب قراءتها أو مشاهدتها عندما يُشار إليها في المنهاج (الوحدات 1، 2، 3).

الكتاب المقدّس بأيٍّ من ترجماته.

كتاب "اعترافات القدّيس أوغسطينوس" (نصّ وكتاب مسموع).

كتاب "الاقتداء بالمسيح" لتوما الكمبيسي.

محاضرة فيديو يقدّمها جون لينوكس.

نتائج المقرّر التعليميّة:

في نهاية هذا المنهج سيتمكّن الطالب من:

1. التعرّف على الافتراضات والمفاهيم الأساسيّة التي يتضمّنها مصطلح "الروحانية".
2. تحليل العلاقة بين الإيمان والعقل.
3. صياغة عناصر الوظائف المقدّسة.

التوقّعات:

إليك ما يمكنك أن تتوقّعه من حيث المشاركة الأكاديميّة والتحضير:

المشاركة الأكاديميّة:

- قراءة مقالات من الإنترنت (5 ساعات)
- التفاعل حسب الحاجة مع المرشد والموظفين الأكاديميّين (ساعتان)
- مشاهدة فيديوهات تعليميّة عبر الإنترنت (ساعتان)
- الامتحانات (3 ساعات)
- منتديات نقاش (6 ساعات)
- استبيان روحيّ عبر الإنترنت (ساعة واحدة)
- استخدام مُخَطّط المقرّر كدليل للقراءة والدراسة (80 صفحة بمعدل 9 صفحات في الساعة، 9 ساعات)
- أنشطة تأمُّل (20 تأمّلًا، نصف ساعة لكلّ تأمل، 10 ساعات)

المجموع: 48 ساعة

التحضير:

- التحضيرات التمهيديّة (ساعتان)
- الدراسة للامتحانات (3 امتحانات، 3 ساعات لكلّ امتحان، 9 ساعات)
- قراءة النصوص الكتابيّة (12 ساعة)
- كتابة التأمّل الشخصيّ (5 ملخّصات، ساعة لكلّ ملخّص، 5 ساعات)
- كتابة المقال (8 صفحات بمعدل ساعتين ونصف لكلّ صفحة، 20 ساعة)
- كتابة اليوميّات (8 ساعات)
- قراءة كتاب توما الكمبيسي "الاقتداء بالمسيح" (150 صفحة بمعدّل 17 صفحة في الساعة، 8 ساعات)
- قراءة كتاب "اعترافات القديس أوغسطينوس" (400 صفحة بمعدّل 17 صفحة في الساعة، 23 ساعة)

المجموع: 87 ساعة

المجموع الكلّيّ: 135 ساعة

مقدّمة:

مرحبًا بك في هذا المقرّر الدراسيّ المشوّق: «رحلة البحث عن الروحانيّة»! ربّما لا يوجد موضوع يستحقّ الاستكشاف أكثر من الروحانية. فالبحثُ عنها لا يحمل قيمةً أبدية فحسب، بل يمتلك أيضًا القدرة على إيجاد الاكتفاء والرضا في الحياة. ولا مثيلَ للفرح الذي يملأ النفس والناتج من التمتّع بعلاقة شخصيّة مع الله.

كما ستكتشف قريبًا، صُمِّمَ هذا المقرّر على شكل رحلة. وكأي رحلة أخرى، قد تختبر فيها أحيانًا بعضَ الإحباط، وستواجه بالتأكيد بعض الآراء التي قد تعارضها. وإذا حدث ذلك، اعتبر هذه كأنّها عوائق في الطريق؛ فإمّا تختار مواجهتها وإمّا تفضّل تجاوزها. ومهما كان قرارك، تذكّر أنَّ الهدف هنا ليس الاّتفاق الكامل مع نصّ المنهاج، بل البحث عن الحقيقة التي يمكن للفرد أن يتصرّف على أساسها بطريقة مسؤولة.

قد يخطر لك في مرحلةٍ ما أنّه لا فائدة من مواصلة المسيرة، لكنَّ التوقفَ المبكر قد يكون مكلفًا جدًّا، لأنّك لن تعرف أبدًا ما ينتظرك إلّا إذا وصلت إلى وجهتك. بالفعل، هذه الرحلة سريعة وربّما سيُطلَب منك الكثيرُ في وقتٍ قصير، لكنّك بالتأكيد ستحصل على رؤية واضحة لما تنطوي عليه الحياة المسيحية. إذا شعرت بالإحباط في الطريق، تذكّر أنّ طاقم جامعة NU وأساتذتها مستعدّون لدعمك. مرشدُك هو نقطة اتّصالك الأولى وسيتمّ التعريف به قريبًا. استخدم البريد الإلكتروني الخاصّ به للتواصل معه بشأن مخاوفك. وإذا وجد مرشدُك أنَّ سؤالك يفوق نطاقَ اختصاصه، فسيحوّل رسالتك إلى شخصٍ يمكنه تقديم الدّعم المناسب.

في هذا المُقرّر التمهيدي ستتعرّف بشكل إيجابي بالكتاب المقدّس، وستتم مخاطبتك بمستوى تعليميّ جامعيّ. معظم المقرّرات في جامعة NU تتكوّن امتحاناتُها من أسئلة متعدّدة الخيارات، بالإضافة إلى بعض الفروض الكتابيّة التي لها ثلاثة أهداف: إظهار مهارات الكتابة، والتفكير النقدي، والقدرة على اتّباع التعليمات.

فلتبدأ الرحلة الآن، وليباركك الله في مسيرتك الاستكشافية.

غايل كرو، دكتوراه في الخدمة

crowewcb@gmail.com

بعض الإجراءات:

1. قبل بدء هذا المقرّر، يُطلَب منك إكمال استبيان روحيّ (BRS 0a). إذا لم تقم به بعد، يُرجى النقر هنا. لا توجد علامات على هذا التمرين، ولا يتطلّب منك تقديمَ أيّة معلومات شخصيّة أكثر ممّا ترغب في الإفصاح عنه. كما أنّه ما مِن إجابات خاطئة.

2. هذا المقرّر مقسّم إلى خمس وحدات متدرّجة. لذا ابدأ بالوحدة الأولى، ومع تقدّمك في الدراسة، سوف يُطلَب منك الانتقال إلى مراحل جديدة في مسيرتك التعلّميّة.

3. تتضمّن كلُّ وحدة تمارين تأمّل تهدف بشكل أساسي إلى إفادتك الشخصيّة، وتشكّل أيضًا أساسًا لكتابة التأمّل الشخصيّ المطلوب منك في نهاية المقرّر.

4. نشجّعك على الاحتفاظ بمفكّرة يوميّة خلال هذه المسيرة. قد تتضمّن صلوات وتأمّلات حول ما تعنيه الروحانية بالنسبة إليك، وحول تأثير هذا المقرّر في روحانيتك. لن يُسلَّم هذا الفرض إلى جامعة NU.

5. نحثّك على النشر في منتديات النقاش في الأوقات المناسبة في أثناء دراسة كلّ وحدة (انظر "قائمة المقرّر"). هذه طريقة جيّدة للتفاعل مع الطلاب الآخرين المسجّلين في المنهج. لتكن منشوراتك مرتبطة بموضوع كلّ وحدة.

6. شاهد محاضرة لينوكس أو اقرأ كتابَي "الاقتداء بالمسيح" لتوما الكمبيسي و"اعترافات القدّيس أوغسطينوس" في الأوقات المحدّدة ضمن المقرّر (يمكن الوصول إليها عبر "المجموعة الإلكترونيّة").

7. بعد الانتهاء من الوحدات 1 و3 و5 راجع الموادّ استعدادًا لامتحانات متعدّدة الخيارات. تأكّد من مراجعة قسم "ما يجب معرفته" في قائمة المقرّر. وعندما تصبح مستعدًّا للامتحان، يمكنك فتحه من قائمة المقرّر.

8. بعد الانتهاء من الامتحان الثالث، قم بإعداد التأمّل الشخصيّ. يمكنك الاطّلاع على التعليمات وكيفيّة تسليم هذا الفرض في قائمة المقرّر ضمن الوحدة الخامسة.

9. ابدأ بعد ذلك بكتابة المقال المكوّن من 2000 كلمة. انظر إلى التعليمات وكيفيّة تسليم هذا الفرض في قائمة المقرّر ضمن الوحدة الخامسة .ومع اكتمال جميع الواجبات، يكون المقرّر قد اكتمل أيضًا. يجب أن تنتقل الآن إلى BRS 121 الكتاب المقدّس العبريّ.

مقدّمة للفروض الكتابيّة المتعلّقة بـ**BRS** 100:

في هذا المقرّر، سيُطلب منك القيام بأربعة فروض كتابيّة، واثنان منها هي التأمّلات الشخصيّة وكتابة اليوميّات. سوف يتمّ إرشادك في وحدات المقرر. والواجبان الأخيران (ملخّص التأمّلات الشخصيّة والمقال ذو الـ 2000 كلمة) سيتمّ تقييمُهما أكاديميًّا. سيسمح هذان الواجبان للأستاذ بتقييم مهاراتك الكتابية، وقدرتك على التفكير النقدي، ومدى التزامك باتّباع التعليمات. إنّ اكتشاف أي نقاط ضعف في هذه المجالات لن تؤثّر بشكلٍ كبير في علاماتك، ولكن يجب معالجتها قبل أن تنتقل إلى مقرّرات أكثر تقدُّمًا. قد يشير أستاذك إلى أخطاء كتابيّة لمساعدتك على النموّ والاستعداد للمقرّرات المستقبلية. في هذه المرحلة، نعلم أنّك قد تحتاج إلى بعض المجال للنموّ. ومع ذلك، خذ هذه الواجبات على محمل الجدّ، وقدّم أفضل ما لديك.

يمكن كتابة المقالات الخاصّة بهذا المقرّر الدراسيّ بأسلوب غير رسمي، أي يمكن استخدام ضمائر المتكلّم (مثل "أنا"). سيكون هذا المقرّر على الأرجح الوحيد الذي يُسمح فيه باستخدام الأسلوب غير الرسمي في كتابة المقالات. في إطار التحضير للدراسات المستقبلية في الكتاب المقدس واللاهوت، تدعو هذه المقالات إلى إضفاء بعض التأملات الشخصية المستوحاة من حياة الفرد الروحيّة واختباراته. لن يُطلب منك الكشف عن حياتك الخاصة، إلا إذا اخترت القيام بذلك. وإذا أردت، يمكنك كتابة مقالاتك واضعًا في الاعتبار شخصًا افتراضيًّا. مهما كان ما تكتبه، سيحترم أستاذك خصوصيتك. ولن يُتوقَّع منك بالضرورة الموافقة الكاملة على آراء أستاذك؛ فأنت مسؤول عن حياتك الشخصيّة أمام الله. في نهاية هذا المقرر، نتمنّى أن تكون قد تلقّيتَ تحفيزات إيجابيّة في حياتك الروحيّة والدراسيّة، وأن تكون متحمّسًا لإكمال دراساتك في الكتاب المقدّس مع جامعة NU.

لماذا تعدّ الواجباتُ الكتابيّة مهمّةً؟

بالنسبة إلى الكثير من الطلاب، سيكون هذا المقرّرُ أوّلَ تجربة لهم في العمل الأكاديمي على مستوى الجامعة. وبالنسبة إلى كثيرين أيضًا، ستكون هذه أوّل تجربة لهم في جامعة معتمدة في الولايات المتحدة.

هذان الأمران مهمّان. ليست الجامعة سهلة، وليس من المفترض أن تكون كذلك. فالعمل الجامعيّ مصمّم لجعلك تستخدم كلّ جانب من جوانب عقلك، من النواحي الأدبيّة، والعلميّة، والإبداعيّة، والعقلانيّة، وذلك للتعامل مع المعلومات بأكثر الطرق تفصيلًا وشموليّة. باختصار، سيساعدك عملُك في جامعة NationsUniversity على أن تكون مفكِّرًا أفضل.

- الذي يحفظ بشكل جيّد لا يعني أنّه المفكّر الأفضل. وكونك مفكّرًا أفضل لا يعني أنّك تحفظ بشكلٍ أفضل. بالتأكيد، ستحتاج إلى حفظ الكثير من المعلومات حول الكتاب المقدّس، والتاريخ، وعلم الآثار، واللغة اليونانية، وغيرها الكثير. ولكن، لكي تكون مفكرًا أفضل، يجب أن تكون قادرًا على دمج تلك المعلومات في فهمٍ موحَّد. إذا كنت فقط تحفظ أجزاء من المعلومات، فكأنّك قمتَ بإلقاء جميع قطع البازل على الأرض. المفكّرون هم الذين يضعون القطع معًا مشكّلين صورة جميلة.

- الكتابة الجيّدة تعني التفكير الجيّد :لكي تصبح مفكرًا أفضل، عليك أن تتعلّم كيف تكون كاتبًا أفضل. الكتابة هي عمليّة وضع جميع أجزاء المعلومات المحفوظة في صورة جميلة ومتكاملة. فالحافظون يخضعون لامتحانات متعدّدة الخيارات لكنّهم لا يستطيعون أن يفسّروا كيف تتناسب جميع الأجزاء بعضها مع بعض من خلال كتابة مقالات مدروسة جيّدًا .

- الكتابة الجيّدة تفيدك أنت! توفّر الكتابة الوضوح، حتى عندما لا تتمّ بشكل جيّد للغاية. وأكثر مَن يستفيد من هذا الوضوح هو أنت! تتحدّاك الكتابة لأن تفهم كلّ الحقائق التي حفظتها، وتضع الأجزاء معًا في ذهنك، ثم على الورق. يعتقد معظم الناس أنّ حفظ الحقائق يُساوي تجميعها معًا. لكن هذا ليس صحيحًا، ويصبح الأمر واضحًا عندما تحاول كتابة مقال. لذا، اصنع لنفسك معروفًا – إذا أردتَ حقًا أن تتعلّم – وخصّص بعض الوقت لفروضك الكتابيّة.

- الكتابة الجيّدة تفيد الآخرين. المجموعة الثانية التي تستفيد من وضوحك تتضمّن كلّ شخص يستمع إليك وأنت تتحدّث. تخيّل الاستماع إلى متحدّث لا يعرف ما يقوله. (يحدث ذلك طوال الوقت!) فهو يستطيع أن يقدّم الحقائق والأرقام، والفرضيّات والنظريّات، والقصائد والملاحم، لكنّه لا يستطيع شرحها. تخيّل أنك تتعلّم فقط حقائق الكتاب المقدّس ولكنك لا تتعلم أبدًا أن تشرحها بطريقة منطقية، سواء لنفسك أم للآخرين.

- الكتابة الجيّدة تغيّر حياتك: سواء أكنت تدرس في جامعة NU لتصبح طالبًا أفضل أو مدرّسًا أفضل – أو كلاهما – فأنت مدين لنفسك بقضاء بعض الوقت في كتابة مقالاتك. نعم، إنّ كتابة مقال يستغرق وقتًا أطول بكثير ممّا تستغرقه قراءة كتاب أو إجراء امتحان متعدّد الاختيارات، ولكنّ الفائدة تكون أكبر بكثير. تذكّر ما كتبه الرسول بولس: "تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ" (رومية 12: 2). لا يمكن للتغيير أن يحدث إلا إذا سمحنا لكلمة الله بأن تتغلغل في أذهاننا وكياننا. ولا يمكن لهذا أن يحدث إلّا إذا أصبحنا مفكّرين أفضل.

- الكتابة الجيّدة تبدأ الآن: هذا هو أفضل وقت لتطوير مهارات التفكير والكتابة لديك، لأنّه يمكنك الاستفادة من مجموعة من أعضاء هيئة التدريس الذين يتمتعون بخبرة مئات السنين في مجالَي الخدمة والتعليم. فسوف يرشدونك خلال عملية الكتابة حسب الحاجة، ولكن الأهم من ذلك، يمكنهم أن يكونوا مرشديك في صيرورتك مفكّرًا أفضل. ومع ذلك، لن يتمكّنوا من مساعدتك إلا إذا خصّصت الوقتَ الكافي لكتابة مقالاتك وتسليمها. أفاد أكثر من 90% من طلاب جامعة NU أنّ ملاحظات الأساتذة على الواجبات الكتابية مفيدة لتعلّمهم، ولذا يعود الأمرُ لك للاستفادة من رجال ونساء الإيمان هؤلاء العظماء.

تعليمات عامّة لكتابة الفروض:

- قم بتحضير جميع الواجبات الدراسيّة على برنامج مايكروسوفت وورد (Microsoft Word) باللغة الإنكليزية. إذا لم يتوافر لديك برنامج MS Word، يمكنك استخدام برنامج مجاني لمعالجة النصوص يسمى OpenOffice (www.openoffice.org) ولكن عليك حفظ الملف بصيغة MS Word (.doc أو .docx). قد تكون الكتابة في هذا المقرّر غير رسمية في الأسلوب، ولكن يجب عليك مراعاة القواعد النحوية وعلامات الترقيم والتهجئة الصحيحة وتركيب الجمل الصحيح. يرجى مراجعة نصوصك قبل إرسالها. وإذا كنت تواجه صعوبةً في الكتابة باللغة الإنكليزية، اطلب من أحد الأصدقاء مساعدتك في التدقيق اللغوي.

يُرجى اتّباع التعليمات التالية عند كتابة الواجبات:

- استخدم خط Arial بحجم 10 أو 12، إلا إذا ذكر خلاف ذلك في المقرر
- أسطر مزدوجة المسافات
- هوامش بمقدار إنش واحد عند الجوانب الأربعة
- وضع مسافة بادئة للسطر الأوّل من كلّ فقرة بمقدار 0,5 إنش
- 0 مسافة إضافية قبل كلّ فقرة وبعدها
- أسطر موجّهة إلى اليسار.

عند اقتباس نصوص كتابية، يجب استخدام الاختصارات الصحيحة المذكورة في نهاية المنهج باعتباره جزءًا من الفرض. ويجب ألا تتجاوز الاقتباسات النصيّة للآيات الكتابية 15% من حجم ورقتك. يمكنك الاستشهاد ببعض مراجع الكتاب المقدس بقدر ما تريد، ولكن لا تملأ ورقتك باقتباسات من الكتاب المقدّس. يكون الاستشهاد بالمرجع الكتابيّ عادةً كافيًا.

يمكن العثور على معلومات كاملة عن متطلبات الكتابة وغيرها من المعلومات المفيدة الأخرى في "القسم التوجيهيّ" الموجود على لوحة معلومات elearning.nationsu.edu الخاصّة بك وعلى قائمة المقرّر الخاصّة بهذا المقرّر الدراسيّ.

للحصول على مساعدة إضافية في الكتابة والأسلوب والتنسيق، يمكنك مراجعة دليل أسلوب APA عبر الرابط التالي:

https://apastyle.apa.org/6th-edition-resources/basics-tutorial

---

ما يجب معرفته

الوحدة الأولى:

1. الفرق بين الإيمان والعقل

2. معنى الروحانيّة من المنظور الكتابيّ

3. كيف تُقاسُ الروحانيّة

4. العلاقة بين العالم الماديّ والعالم الروحيّ

5. العلاقة بين العلمانيّة والقداسة

6. معنى مفهوم "المقدَّس"

7. ما الذي يجعل القداسة مرغوبة؟

8. طبيعة الروحانيّة

الوحدة 2:

1. معنى "الإحساس بالمقدّس".

2. معنى "الإحساس بالغموض".

الوحدة 3:

1. معنى مفهوم الغربة والاحتياج الروحي.

2. معنى مفهوم الخطيّة.

3. مفهوم الفداء.

4. الفرق بين الناموس والنعمة في السياق الكتابيّ.

الوحدة 4:

1. مفهوم المجتمع الروحي
2. مفهوم الجماعة المؤمنة
3. مفهوم الجماعة الكارزَة
4. مفهوم الجماعة العابدة
5. مفهوم الجماعة المترئّفة
6. مفهوم الجماعة المشجّعة
7. القدرة على وصف الكنيسة كما ظهرت في العهد الجديد.

الوحدة 5:

1. العلاقة بين الأخلاق والروحانية.
2. كيفية انعكاس الروحانية في الحياة الشخصية والاجتماعية والأسرية.
3. توضيح الفعل الروحيّ من حيث الخدمة.

المجموعة الإلكترونية:

الوحدة الأولى: جون لينوكس

"المعجزات: هل الإيمانُ بما يفوق الطبيعة أمرٌ غير عقلانيّ؟" (2012)، مدّة الفيديو ساعة و24 دقيقة.

الوحدة الثانية: أوغسطينوس

الوحدة الثالثة والرابعة: توما الكمبيسي

"الاقتداء بالمسيح"

مكتبة الفيديوهات الإلكترونية:

"المعجزات: هل الإيمانُ بما يفوق الطبيعة أمرٌ غير عقلانيّ؟" لجون لينوكس (2012)، مدّة الفيديو ساعة و24 دقيقة.

المكتبة الإلكترونية المختارة

"مكتبة النصوص الكلاسيكية المسيحية" (**Christian Classics Ethereal Library)**

كتاب "روح الصلاة" لبيتر تايلور فورسيث، مكتبة Christian Classics Ethereal Library.

المصادر الإضافية الموسّعة:

هذا المقرّر هو دراسةٌ في الروحانيّة ذات مستوى دخول، ويُعطى بشكل فريد لتعزيز الإيمان الشخصيّ والرؤية. وتركّز الخطة الموضوعة على السعي للحصول على تفسيرات معقولة، ويتمّ ذلك في سياق الفرد الشخصيّ. تقدّم القراءات التالية فرصة لمتابعة الدراسة بما يتجاوز ما هو موضَّح في المنهج. الأسعار هي تلك الخاصّة بأمازون برايم، أيّار/مايو 2019.

Foster, Richard J. *Celebration of Discipline: The Path to Spiritual Growth.* Anniversary Ed. Harper San Francisco, 2018. 288 pages. $14.98pb ISBN: 978-0062803887

----------. *Streams of Living Water: Celebrating the Great Traditions of Christian Faith*. Reprint ed. HarperOne, 2001. 448 pages. $10.98pb ISBN: 978-0060028222

Haykin, Michael. *The God Who Draws Near: An Introduction to Biblical Spirituality*. EP Books, 2007. 120 pages. $31.24pb ISBN: 978-0852346389

Issler, Klaus. *Living into the Life of Jesus: The Formation of Christian Character.* IVP Books, 2012. 240 pages. $12.61pb ASIN: B007EKJJKG

Otto, Rudolf. *The Idea of the Holy: An Inquiry into the Non-rational Factor in the Ideas of the Divine and Its Relation to the Rational.* Martino Fine Books, 2017. 166 pages. $9.99pb ISBN: 978-1979430784

Pearcey, Nancy. *Total Truth: Liberating Christianity from its Cultural Captivity.* Study Guide ed. Crossway, 2008. 512 pages. $17.68 ISBN: 978-1433502200

Schaeffer, Francis A. *True Spirituality*. Tyndale House Publishers, Inc., 2001. 192 pages. $11.81 ISBN: 978-084237373517

Smith, James Bryan. *The Good and Beautiful Community: Following the Spirit, Extending Grace, and Demonstrating Love*. Apprentice Series. IVP Books, 2009. 240 pages. $15.97pb ISBN: 978-0830835331

_____. *The Good and Beautiful God: Falling in Love with the God Jesus Knew*. Apprentice Series. IVP Books, 2009. 232 pages. $17.06 ISBN: 978-0830835331

_____. The Magnificent Journey: Living Deep in the Kingdom. Apprentice Series. IVP Books, 2018. 176 pages. $15.17 ISBN: 978-0830843682

Tippins, Darryl. *Pilgrim Heart: The Way of Jesus in Everyday Life*. Leafwood Publishers, 2006. 224 pages. $12.87pb ISBN: 978-0976779070

Willard, Dallas. *The Divine Conspiracy: Rediscovering Our Hidden Life in God*. HarperOne, 1998. 448 pages. $10.98 ISBN: 978-0060693336

----------. *The Spirit of the Disciplines: Understanding How God Changes Lives*. HarperOne, Reprint Ed., 1999. 288 pages. $13.98 ISBN: 978-0060694425

سياسة حقوق الملكية الفكرية:

جامعة NU، باعتبارها مؤسسة تعليميّة غير ربحيّة، لها الحق بموجب القانون في استخدام الموادّ المحمية بقانون حقوق الملكية الفكرية الأميركي لأغراض التعليم الإلكتروني. أيّ استخدام لهذه الموادّ خارج إطار هذا المقرّر قد يُعدّ انتهاكًا للقانون.

سياسة الاحتيال في الهوية:

يُعتبر الاحتيال في الهوية مسألة خطيرة جدًا، وله تداعيات قانونية ومؤسساتية. أي طالب يطلب من شخص آخر انتحال شخصيّته أو هويّته في أيّ مقرّر أو فرض أو امتحان، سيتمّ طرده نهائيًّا من ®NationsUniversity.

رحلةُ البحث عن الروحانيّة

هل تساءلت يومًا كيف ستكون الحال إذا بدأتَ رحلة بحث مدروسة عن الروحانيّة؟ هل أنت من بين أولئك الذين يجدون هذا الأمر جذابًا؟ أو هل تخشى أن يكون ثمنُ هذا البحث التضحيةَ بالعقلانيّة؟ نأمل أن يكون

هذا المقرر رحلة حقيقيّة نحو الروحانيّة الأصيلة، من دون التضحية بما لدينا من صفات بشرية، أو على الأقل، هذا هو الهدف.

رؤيتنا هي تحقيق حياة "كاملة"، ولن نعتذر أو نتظاهر بشيءٍ آخر في ما يتعلّق بهذه الرؤية. بل إنّنا نخاطب ذلك الفضول العميق الكامن في داخل كلّ واحدٍ منّا، لكي ندرك نعمة الروحانيّة الحقيقيّة. لن تكون هذه الرحلة سهلة، لأنّ الموضوع يفوق القدرة الإنسانية، ولن تخلو من التوتر، لأنّ فيها مساحة واسعة للنقاش والجدل. ولن تكون أيضًا خالية من التردّد، لأنّ طبيعتنا البشريّة تجذبنا دائمًا في اتّجاهاتٍ أخرى.

نَعِدُك بأننا سنعالج أسئلةً صعبة تتعلّق بما نسميه "الواقع"، لكنّنا لا نعدُك بأنّنا سنحلّها بشكلٍ يُرضي الفضول الإنساني إلى التمام. سننظر إلى أبعد من المشاعر التي نختبرها عادةً كبشر، وسنسأل: هل هناك شيءٌ آخر؟ وإذا كان الجواب نعم، فكيف يمكنني أن أفهم هذه "الروحانية" أو هذا "العالم الآخر" وأعتنقهما في حياتي؟

توضيح طبيعة الرحلة:

سنتناول أمورًا تنتمي إلى عالم اللامرئي، ولكن لها تطبيقات في العالم المرئي. ومع ذلك، فإن التمييز بين "المرئي" و"غير المرئي" لا يكفي لوصف ما نحاول الإشارة إليه. فليس "غير المرئي" مجهولاً تمامًا بالنسبة إلينا، إذ يحيط بنا من كلّ جانب، وهو ينتمي إلى العالم "المرئي" الذي يستطيع الإنسانُ أن يستشعره. فعندما تنظر إلى حديقة جميلة، ترى زهورًا وطيورًا وأشجارًا، لكنك لا ترى الرياح أو الأكسجين الذي تتنفسه أو ثاني أكسيد الكربون الذي تأخذه النباتات. وربما تلاحظ أيضًا آثار الجفاف أو الشيخوخة، لكنّك لا ترى القوى التي تؤدي إلى موت النباتات، أو تسمح للقلب البشري بأن ينبض، أو للدماغ بأن يعمل. ما تلاحظه عبر حواسك لا يفرّق بين ما هو روحي أو غير روحي، على الرّغم من أنه قد يُلهمك. فالجانب "الروحي" مرتبطٌ بالسؤال "لماذا" و"كيف"، أكثر منه بالسؤال "ماذا".

بصراحة، نجد صعوبة في العثور على مصطلحات دقيقة لوصف الفرق بين العالمين المتداخلين اللذين يتناولهما هذا المقرر. يمكننا فقط استخدام المصطلحات الشائعة التي تحاول بطريقة ما الإشارة إلى البعد الروحي في سياق نظام كوني متكامل. فيمكننا مثلاً أن نستخدم موقتًا المصطلحين الشائعين «المادي» و«ما

وراء المادّي» (ميتافيزيقي). ولكن حتى مثل هذه المصطلحات لا تكفي لوصف الفروقات بشكل تام. يستخدم الإنسان مصطلح «ميتافيزيقي» لوصف الأفكار المجردة والسببية والوجود، ولكنّ المصطلح يتوقّف عند حدٍّ معيّن ولا يشمل مفهوم الروحانيّة كاملاً.

مصطلحٌ شائعٌ آخر هو «أثيري» (أي غير محسوس). يُستخدم عادةً لوصف عالَمٍ غير مادي، وشيء لا يُدرَك بحواس الإنسان، ويمكن وصفه بأنّه سماوي أو روحيّ (أو مقدّس أو إلهيّ). وعلى الرغم من أنّ الاستخدام المعتاد قد لا ينقل بالضرورة البعد المقدس الخاصّ بـ"الأثيري"، فإنَّ فكرة «العالم السماوي» تشير إلى واقعِ عالمٍ آخر.

بمعنى ما، التمييز الذي يتمّ إجراؤه في هذا المقرّر هو بين "السبب" و"النتيجة". لقد تفوّه الله بكلمة وأصبح العالمُ موجودًا. ولكن حتى هذه المصطلحات غير كافية، لأنها توحي بالحتمية، ولا يمكن إزالة حرية الإنسان ومسؤوليته من المعادلة .

إنَّ "غير المرئي"، في سببه ونتيجته، يتجلّى في العواطف والتصرفات والدوافع والمزاج والحب والحزن والغضب. هذه الأمور حقيقيّة وتنشأ من النفس البشرية التي لم يرها أحدٌ على الإطلاق. ومن المفارقة أنّ الناس يحكمون على هذه الأحاسيس بأنّها "روحيّة" و"غير روحيّة"، ولكنّ المعيار يأتي من الخالق وليس من المخلوق. وحقيقةُ أنّ الأفعال نفسها يمكن النظر إليها بشكلٍ مختلف بناءً على دوافع الشخص الذي يقومُ بها تشير إلى جانبٍ آخر من العالم غير المرئي، وهو وجود الخير والشر. فقد يتصرّف أحدُهما بدافع المحبّة والآخر بدافع الكراهية. وهذه الروح الداخلية هي التي تبارك الفاعل أو تلعنه. وعلى المدى الطويل، لا تتعلّق الروحانيّة فقط بالعواطف والمشاعر والدوافع وغيرها من الجوانب "غير المرئيّة" من العالم الماديّ. لذلك، يجب أن ننظرَ إلى ما وراء الكون الميكانيكي.

إذا اعترف المرءُ بوجود عالم "روحيّ"، فينبغي أن يتوقَّعَ تداخلًا بين عالمَين. يُظهر "السبب" (الله) و"النتيجة" (كون مادي) تداخلًا بمعنى أنَّ مجدَ الله يتجلّى من خلال الكون الرائع. يخطو هذا المقرّر خطوة إضافيّة تتجاوز عمليّة الخلق، وذلك من خلال استكشاف العلاقة بين الخالق ومخلوقه البشريّ. وهنا يكمن جوهر الروحانيّة البشريّة.

سنقوم أيضًا خلال رحلتنا بتفحُّص مفهوم "المقدّس" المنتمي إلى العالم غير الماديّ. والمقدّس يختلف عن الدنيوي، لا بسبب صفة جوهرية خاصّة به، بل بسبب علاقته المباشرة مع خالق الكون. لذلك، سنتناول الروحانية من خلال المنطق، لكنّنا لن نحدّ الواقع الروحي بالعلوم الطبيعية أو المشاعر الإنسانية فقط.

قبل أن نبدأ، لا بدّ من أن نوضّح شيئًا آخر. يجب أن نفرّق بين "العالم الروحي" و"الروحانية". يُستخدم "العالم الروحي" للإشارة إلى مجالٍ غير مرئي بالنسبة إلى العين البشرية، تعيش فيه كيانات يمكنها الدخول في عالمنا المادي سواء للخير أو الشر. لا يخضع هذا المجال للمنهج العلميّ المعتمد على الحواس الخمس، ويصعب على العقل البشري استيعابه بشكل كامل. فهو يسبق الذكاء البشري ويستمرّ بعد موت الإنسان.

عندما نقول "روحانيّة"، فنحن نعني حالة جيّدة تُعرَّف من خلال طبيعة الله، مصدر الوجود الذي لا يمكن حصره في الكون المادي. وبالتالي، ليست الروحانية حالة نتمنّى الوصول إليها أو نحدّدها بأنفسنا، بل هي أمر يستطيع الله وحده أن يحدّده ويجعله ممكنًا.

في سعينا هذا، يجب أن نسأل: كيف يمكن لمَن ليس له تحكّم بجنسه أو والديه أو مكان ولادته أو معدل ذكائه أو عرقه أن يأمل في تحديد الخير والشر؟ كيف يمكن لشخصٍ لم يكن موجودًا بالأمس وسيزول غدًا، أن يصدر حكمًا على الله؟ أيّ سلطة يمتلك رائدُ الفضاء الروسي الذي دار حول الأرض ثم أعلن بجرأة أنّه لا يوجد إله لأنّه لم يره في الفضاء؟ لا يحتاج الإنسان إلى إثبات وجود الله ولا إلى رؤيته، إنّما يحتاج فقط إلى الاعتراف بخالقه الذي خلقه على صورته، والاستجابة له بالطريقة التي حدّدها خالقه.

لماذا نبدأ بالروحانية؟ ربما تتساءل لماذا يبدأ برنامجُ دراسات دينيّة أو كتابيّة بالروحانية؟ الجواب بسيط: لأنّ الدراسات الكتابية والدينية يجب أن تتجاوز حدود النشاط الأكاديمي المحض. إنَّ الدراسات الكتابية/الدينية بمفهومها الصحيح، هدفُها هو الروحانية. إنّ هذا المقرّر هو مقدّمة لبرنامج شهادة الدراسات الكتابية والبكالوريوس في الدراسات الدينية، ويسير هذان في مسارَين متداخلَين: واحد روحيّ وآخر أكاديمي. وبما أنَّ المسار الأكاديمي يركّز على النصوص الدينية التي تشهد على الروحانيّة، يبدو من المناسب تمهيد الطريق لدراسة النصوص من خلال توضيح السبب الذي يدعو إلى دراسة النصوص.

لا تُثبِت النصوص الدينية وجود العالم "ما وراء الماديّ"، لكنّها تشهد له. عندما تقرأ في التكوين "في البدء خلق الله..." (تكوين 1:1)، فهذا النص لا يثبت ولا يدحض وجود الله، بل يعلن عن وجوده وأفعاله ويشهد له. التصريح نفسه لا "يثبت" وجود الله، كما أنّ القولَ "إنّ الله غير موجود" لا يُثبت عدم وجوده. نحن ننظر في أماكن أخرى للحصول على "أدلة". ولذا إنّه عادل أن نسأل، إلى أي اتجاه تشير الأدلة؟ ولكن ليس هذا درسًا في الدفاعيات. ففي هذا المقرّر، تُؤخَذ شهادة الكتاب المقدّس كما هي.

يفسّر هذا المقرر الأدلة على أنها تشير إلى وجود الله، ومن هذا المنطلق نفترض أن الروحانية تستمد معناها من الفهم الصحيح لطبيعة الله وعمله. لذا، تقوم الدراسة على وجهة نظر عالمية تتيح نظامًا مفتوحًا (أي إطارًا شاملاً ومرنًا) للواقع. بعبارة أخرى، لا يمكن تفسير العالم الروحي ولا الروحانية من خلال العقل والمشاعر البشرية. علاوة على ذلك، لا يمكن تمييزهما من خلال الطريقة العلميّة. من خلال اعتماد نهج النظام المفتوح، يمكن للمرء السماح للقوى غير المرئية بأن تدخلَ الكون المادي. يرى النظام المغلق (أي الإطار غير الشامل والمرن) الإنسانَ على أنه مجرّد تراكم الذرات التي تصطدم بعضها ببعض من طريق الصدفة من دون عقل أو تصميم، وينسب إلى العقل البشري ميزات تنبع بشكل صحيح من المجال الأثيري. ومن هنا نبدأ بالتمييز بين العناصر "غير المرئية" في عالمنا المادي (الريح، وظائف الدماغ، والحياة نفسها) والعالم الميتافيزيقي (المصادر والكيانات التي تكمن وراء تلك العناصر وتكون مسؤولة عن وظائف كونٍ حَيّ).

رحلة نحو الروحانية الحقيقية. صُمِّم هذا المقرر كرحلة تتضمّن خمس مراحل (الوحدات 1–5)، وتتطلّب كلّ مرحلة قرارًا واعيًا. في الواقع، صُمِّمَ هذا المقرّر بحيث تطلب كلُّ مرحلة اتخاذ قرار من جانبك حول ما إذا كنت ترغب في الاستمرار. لمتابعة الرحلة من مرحلة إلى أخرى، عليك اتّباع المسار المُقترَح، ولكنك لست ملزمًا بالموافقة عليه شخصيًّا للاستمرار.

أنتَ (أيّها الطالب) نقطةُ انطلاق الرحلة. وبغض النظر عن قناعاتك الشخصية، أنت مُكرَّمٌ في هذه الرحلة. ومثل أي شخص ينطلق في رحلة طويلة، أنت مستعدّ كفاية لخوض المرحلة الأولية من هذه الرحلة. وبإمكانك التوقف متى شئت.

ومع تقدّم الرحلة، سترى كيف تُعرَّف الروحانية من منظور الكتاب المقدّس، وسترى مثالاً مثاليًا عليها، ولكن ليس بالضرورة كما يُمارسها مُعظَم المسيحيين المؤمنين. فهدفنا هو الوصول للروحانية الأصيلة، وليس الحالة الناقصة التي قد تكون موجودة بالفعل.

الوحدة الأولى: مفهوم الروحانيّة

الحياة كما نعرفها في هذا العالم تعتمد على جسدنا وحواسّنا التي تمكّننا من اختبار واقعنا الماديّ. وإننا نختبر العالم من خلال حواسنا الخمس: البصر، والسمع، والشم، والتذوق، واللمس. فاللمس يتيح لنا الاستمتاع بنقوش الأقمشة وتجنّب الاقتراب من نبتة الشوك. والتذوق ينبهنا للغذاء الفاسد، بينما يُشعرنا الطعام الجيّد بالسعادة. والبصر يجعلنا نستمتع بجمال الطبيعة، ويُبرز العوائق في طريقنا. والسمع يمنحنا متعة الموسيقى، ويحذرنا من الخطر القادم. والشم يجذبنا إلى عطر الوردة، وينفّرنا من الرائحة الكريهة.

كبشر نحن مجهزون بشكل ممتاز لهذا العالم المادي. وجسد الإنسان في الحقيقة مذهل، إذ يتضمّن جميع الأنظمة الأساسيّة للتغذية وصيانة الحياة الجسديّة. ولديه قدرة مذهلة على التكيّف مع المناخات المتغيرة والأنظمة الغذائية والظروف. جسم الإنسان مدهشًا للغاية في ضوء العناصر البسيطة التي يتكوّن منها.

وعلى الرغم من أنّ الإنسان يبدو كائنًا ماديًا، فهو ليس آلة ميكانيكية ولا كومة من التراب والماء فقط. فالإنسان يختبر اللذة والألم، وهو قادر على المحبة والكراهية، ويتعرض لإغراءات يمكن أن تتحكّم في جسده وعقله معًا. لا تقع تلك العناصر ضمن التعريف الكلاسيكيّ للعقلانيّة، إنّما تشهد على أنّ الإنسان كائن معقّد يتكوّن من العقل والإحساس.

فالأحاسيس، بأسبابها ومصادرها، تتجاوز الفهم البشري. عواطف المرء وغيرها من جوانب الوجود غير المرئية تشهد على وجود شيء لا يمكن شرحه بمصطلحات مادية. فحين نحب، نختبر عاطفةً غير مادية. وقد يكون سبب الاكتئاب اختلالاً كيميائيًا داخل الجسم، لكنّ الشعور بالكآبة لا يمكن رؤيته عبر المجهر. وعندما نفقد شخصًا عزيزًا علينا، نُدرك الفرق بين جسد ميت وشخص حيّ، ولكن لا يمكن لأحد تفسير ذلك.

كمخلوقات بشرية، نمتلك في داخلنا بُعدًا روحيًّا. عند مواجهة الموت، يتساءل الفرد عن وجود عالم روحيّ، وفي خضمّ اليأس، قد يشعر بثقلٍ نتيجة فعل خاطئ، وتحت سماء مزيّنة بالنّجوم، يتبادر إلى ذهنه سؤالٌ مثل: من خلق هذه؟

كيف يمكن تفسير الفرق بين "الجسد" و"الروح"؟ فالأمور التي نتحدّث عنها تتجاوز قدرة اللغة البشرية، لأنّ البشر عاجزون عن استيعاب هذه الظواهر بشكل تام. ما نعرفه فقط هو أننا نعيش في عالم تتداخل فيه المادة والروح، والمرئي واللامرئي، والحقيقي وما وراء الواقع.

تنطلق المرحلة الأولى من هذه الرحلة (الوحدة الأولى) على طول المسار الذي يؤكد أنه من الممكن الإيمان بالعالم الروحي الذي يشمل الله والشيطان، ومن المعقول أن نؤمن بأنّ الله أعلن عن نفسه للإنسان من خلال الكتاب المقدس، ومن المعقول الإيمان بأنّ اللقاء مع "المقدس" ضروري لكي تتحقّق الروحانية. هل أنت مستعد لبدء الرحلة؟

الجزء الأوّل: العقل والإيمان

بعد أن قرّرتَ أن تبدأ هذه الرحلة، إنّك توافق، حتّى الآن، فقط على استكشاف سؤال: هل الإيمان أمرٌ عقلاني؟

تبدأ الرحلة من الجانب "العقلاني" لدى الإنسان، لأنّ الدماغ البشري هو العضو الذي يُنير طريقنا لفهم تجاربنا في العالم. يعالج الدماغ المعلومات التي تأتيه من الحواس الخمس، ويتحكّم بالمهارات الحركية والعواطف، ويتيح لنا التعلم والتقييم واتخاذ القرارات، وهو قادر على وضع خطط إبداعيّة ورؤيويّة. كما يمكّننا من الاحتفاظ بمهارات الحياة وتطويرها، ويوفر نافذةً على العالم غير المنظور. العقل البشري المدهش يمنحنا القدرة على إدراك العالم الذي يحيط بنا. وعلى الرغم من وجود أشياء كثيرة لم نكتشفها بعد، فإنَّ مجرد قدرة الدماغ على التفكير في العوالم الجسدية والعاطفية والروحية تدلّ على أن أفكار الإنسان حول هذه الأمور هي "عقلانيّة" في جوهرها.

ولكن لا بدّ من أن نقرّ هنا بوجود فروقات بين عقل الطفل وعقل البالغ، وبين العقل السليم والعقل المريض، وبين السلوك الطبيعي والسلوك غير الطبيعي. وثمّة انحرافات أخرى مثل عقل المجرم الدائم، والشخص المسنّ المتخلّف عقليًّا، والأشخاص الذين يعانون عدمَ استقرار نفسيّ. ولأغراض هذه الدراسة، سنفترض أنّ الحديث عن العقل والإيمان يتعلق بالعقل البشري السليم فقط. تنطلق هذه الدراسة من فكرة أنّ الإنسان العقلاني بالكامل هو وحده القادر على البحث الجدّي في موضوع الروحانية. فكلّ شخص يقرّر عن نفسه ما إذا كانت رحلة البحث عن الروحانية ذات قيمة شخصية أم لا. وبالطبع، لا يحدّد هذا القرار قيمة الروحانية الحقيقية، إنّما يحدّد فقط رغبة الفرد في السعي وراءها.

العقل السليم قادر على التفكير في الأمور الروحية والتفاعل معها تمامًا كما هو قادر على التفكير في الأمور المحسوسة. ولذلك، إنّ فكرة "الإيمان" بغير المنظور ليست فكرة غير منطقية. يعتمد الإيمان بالفعل على عملية عقلانية، مع أنّه ليس نتاج تفكير بشريّ منطقيّ.

وهنا تصل إلى أوّل قرار عليك اتّخاذه. هل أنت مستعدّ للاستمرار في رحلة استكشاف العالم الروحيّ غير المنظور؟ إذا لم تكن ترغب أساسًا في التفكير في وجود عالم روحي، فإنّ الرحلة منتهية بالفعل قبل أن تبدأ، وستكون أنت الخاسر لأنّك لن تعلم ما ستفوّت عليك. أمّا إذا قرّرت المواصلة، فاستمر في القراءة.

(أ) العقلانية البشرية:

يشير مصطلح "العقلانية" إلى استخدام العقل في التفكير. الجوهر الأساسي للمصطلح يشير إلى ما يمكن جمعه من العقل البشري. بشكل افتراضي، يعتمد تعريف العقلانية على الاستدلال الدائري، والحكم البشري، ونظام مغلق. أمّا بالنسبة إلى الاستدلال الدائري، فإنّ العقلانية تفترض وجود حدود للمعلومات التي يمكن أن ينتجها الدماغ. وبالتالي، يتمّ تعريف العقلانية غالبًا مع الأخذ في الاعتبار هذه القيود المفروضة ذاتيًا. وتستدعي العقلانية حكمًا بشريًا على ما هو "معقول". ويقرّر الحكم البشري ما هي الحالة الذهنية التي تحدد الحسّ السليم والاتّساق والوضع الطبيعي. وتعمل العقلانية كنظام مغلق عندما لا تعترف إلّا بفئات الواقع المفروضة ذاتيًا. ويطرح هذا التفكير أسئلة مثل: هل يقتصر الواقع على ما يستطيع العقل البشري إدراكه، أو هل هناك واقعٌ آخر أبعد من ذلك؟

الدّماغ البشريّ هو العضو الوحيد الذي يمكّننا من إدراك الواقعَين الماديّ والروحيّ. إنّه الوسيلة التي يستوعب بها المرءُ الروحانيّات. وليس العالمان الماديّ والميتافيزيقيّ موجودَين لأنّ العقل البشري يتصوّرهما؛ فهما موجودان قبل ولادة الإنسان وبعيدًا عن مخيّلته. ويمكّن العقلُ الإنسانَ فقط من إدراك الواقع.

يبدو دماغُ الإنسان مشابهًا للأعضاء الأخرى، مثل القلب أو الرئة أو الكلية. ومن الناحية الجسديّة لا يبدو أنّه يوجد فيه شيءٌ مميّز. يمكن وصفه، ويمكن وضع نظريات حول كيفيّة عمله، ومع ذلك، يبقى لغزًا كبيرًا. عندما يكون جسم الإنسان سليمًا بما فيه الكفاية، يعمل الدّماغ. ولكن عندما يموت الجسم، يموت الدماغ. وسواء فهمنا ذلك أم لا، تبقى الحقيقةُ ثابتة: الإنسان كائنٌ عقلانيٌّ له حدود في الزمان والمكان والقدرة.

حدود العقلانية:

غالبًا ما توصف العقلانيّة بأنها عكس الروحانية، وكأنّ المعرفة تقتصر فقط على ما يمكن للحواسّ الخمس إدراكه. ومن حيث هذا التعريف، يمكن العثور على "العقلانية" في الكثير من التخصّصات، بما في ذلك العلوم والأنثروبولوجيا والأديان المقارَنة. ومَن يؤمنون بالتطوّر يستبعدون دورَ الله، ويفسّرون الحياة تفسيرًا ماديًّا فقط. إنّ النظرة التطوّرية لوجود العالم تستبعد الله من الفعل الخلّاق ومن التدخّل في شؤون الإنسان. وتميل النظرة التطوّرية التابعة لتطوّر الحضارة الإنسانيّة إلى التعامل مع القيم والأخلاق على أنّها اختراعات بشريّة بحتة نتجت من الحاجة إلى البقاء. وبطريقة مماثلة، تميل مُقاربة الدّين العقلانيّة إلى التعامل مع الظروف على أنها نتيجة جهود الإنسان للتعامل مع عالم مادي. وبذلك، إنّ هذا النوع من التفكير العقلاني يجعل الروحانيات أسيرةَ الأطر الموجودة مسبقًا. من ثمّ، يحاول العقل السيطرة على الروحانيّات. وفي النهاية، يصبح الإنسان "إلهًا"، إذ يضع المعايير، ويتحكّم في مصيره (أو هذا ما يظنّه)، ويحكم بين الخير والشر.

يمكن طرح أحد التحديات التي تواجه المقاربة العقلانية البحتة (العقل البشري) في شكل سؤال. كيف وصل الإنسان إلى هنا؟ كيف اكتسب الحقَّ في وضع المعيار لنفسه وللآخرين في حين أنّه لا يملك السيطرة على أمور الحياة والموت؟ فهو لا يخلق الحياة، ولا يملك القدرة على أن يصبح خالدًا، وهو أيضًا يستسلم للعناصر التي تُحيطُ به. لكنّ السؤال الحقيقيّ هو: هل يمكن للعقل البشري وحده أن يفسّر الواقع الكامل؟

حتّى هذه النقطة، أثبتنا فقط أنَّ الإنسانَ كائنٌ عقلانيٌّ قادرٌ على الشعور والتفكير في أبعاد أخرى غير مرئيّة. وبالتالي، إنّه قادر على التعامل مع العالم غير المرئي، ومع العواطف، ومع الاحتياجات الروحيّة الأساسيّة، ومع الاغتراب، ومع الأبدية. وتتحدّى أفكارُ الإنسان الداخليّة الفكرةَ القائلة إنَّ "ما تراه هو كلّ ما يوجد". ويبقى الكونُ الماديُّ أيضًا لغزًا ويشير إلى بعض المؤثّرات أو التدخّلات الخارجيّة.

موارد عبر الإنترنت

تقدّم المقالاتُ التالية على الإنترنت تفاصيل إضافيّة حول المواضيع المُناقَشَة أعلاه.

"الحوسبة في الدّماغ"، جامعة ويلاميت

"العقلانية" لجيف لانداور وجوزيف رولاندز، أهميّة الفلسفة

"اثنتا عشرة فضيلة للعقلانيّة" لإليعازر س. يودكوسكي

هنا لديك قرار عليك اتّخاذه. للمتابعة، إمّا (1) تقبل فرضيّة أنّه من المعقول الإيمان بالعالم الروحيّ، وإمّا (2) تكون على استعداد للتفكير في فكرة وجود عالم روحيّ.

(ب) مفهوم الله. على افتراض أنّه من المعقول أن نؤمن بالله، ننطلق من فكرة أنّ الله هو كائن سيادي ومطلق وروحانيّ. وإلاّ فهو ليس إلهًا على الإطلاق، بل قوّة محدودة يتحدّد تأثيرُها بعوامل خارجة عن ذاته. إذا كانت هذه هي الحال، يصبح مفهوم الله خاضعًا للتخمين البشري.

الإنسان يدرك الله بعقله. يجب أن نفترض أنّ الطريقة الوحيدة التي يمكن للمرء أن يتصوّر الله بها هي بعقله واختباره الشخصيّ. خلاف ذلك، ليس لدى الإنسان القدرة على تصوّر الله بأي شكل من الأشكال. ومع ذلك، يجب ألّا نحدّ الله بالعقل البشري، لأنّه موجود بمعزل عن عقل الإنسان. وبعد توضيح ذلك، يجب أن نعترف بأنّ مفهوم الله يتوافق مع فهمنا وتجربتنا للحياة. فالكثير من الصفات المستخدمة لوصف الله ما هي إلّا امتداد للصفات الشائعة في الحياة البشرية. ومع ذلك، إننا نعترف في داخلنا بمحدوديّتنا عندما يتعلّق الأمر بتصوّر أو وصف السرمديّ. تلك الصفات التي ننسبها إلى الله مشابهة لصفاتنا نحن، وهي صفات تتشكّل بواسطة

العقل البشري. وحتّى الوحي الإلهي المتجسد في الكتاب المقدّس يستخدم مفاهيم يمكن للعقل البشريّ أن يستوعبها. وبالتالي، إنّ مفهوم الله مفهومٌ عقلانيٌّ.

على الرّغم من أنَّ مفهوم الإله يُعَدّ مسألةً فكريّة، فإنّه لا يمكن حصر الإله ضمن حدود العقل البشري. العقلانيّة هي فقط المكان الذي نتصوّر فيه إلهَنا، لأنّ هذه هي الطريقة التي صُمِّمنا بها. ومع أنّنا كائنات ماديّة مكوّنة من اللحم والدّم، إلّا أنَّ العقلَ يمكّن الجسدَ من العمل ويوفّر لنا نافذة داخليّة نرى من خلالها عالم الواقع، سواء مرئي أم غير مرئي.

إنّ الاعتراف بواسطة العقل بإمكانيّة وجود الله لا يعني أنّ الله يمكن حصره بنسج الخيال البشري. كما أنّه لا يعني أنّ العقل البشريّ عاجزٌ عن قبول الواقع الروحيّ العجائبيّ. وبالمثل، يعترف اللاهوت بمكانة العقل في الأمور الروحية. بعبارة أخرى، ليست العقلانية أقلَّ اهتمامًا بالوقائع الروحيّة من اهتمام اللاهوت بالتفكير العقلاني. فكلاهما يعتمد على الآخر. ولا ينشأ موقفٌ لا يمكن الدّفاع عنه إلّا عندما يحاول أحدُهما إنكار الآخر. لا يمكن للعقلانيّ أن ينكر بشكل شرعيّ حقيقةَ الصفات الروحية، ولا يمكن للمؤمن بالله أن يتجاهلَ العمليّات العقلانيّة. إنّ الموقف العلماني البحت محكوم عليه بالفشل، لأنّه لا يأخذ في الحسبان إمكانية وجود شيء لا يمكن إثباته بالمنهج العلمي. كما أنّ الموقف الحدسيّ (أو البديهيّ) البحت تجاه عالم غير المنظور لا يأخذ في الاعتبار العلاقة القائمة بين الإيمان ومجموعة محدّدة من المعرفة. علاوة على ذلك، إنّ المتديّن ملزمٌ بتأكيد العلاقة المتوازنة بين التدخّل الإلهيّ في العالم المادي والمعارك الروحيّة التي لا تستطيع العين البشرية رؤيتها.

يُنظر إلى الله من خلال الصفات البشرية. عندما يُختزَل الله إلى صورة إنسان أو وحش أو عناصر، يتمّ تحويله إلى كائنٍ يشعر البشرُ أنّه بإمكانهم السيطرة عليه أو التلاعب به. يصف نبيُّ العهد القديم، إرميا، هذه الحماقة وصفًا جيّدًا. فهو يرسم صورة الحِرَفيّ الذي يقطع شجرة ويبدأ بنحتها إلى الشكل المطلوب. ويزيّنها الصانع بالفضة والذهب ويلبسها ثيابًا فاخرة، ويثبّتها على الأرض كي لا تسقط. لا يستطيع الصَّنمُ أن يمشي ولا أن يتكلّم، وليست لديه أفكار. إنّه مجرّد قطعة خشب مزخرفة. ومع ذلك يسقط أمامه المعجبون به ويسجدون له (إرميا 10). لو قال أحدُهم: "ولكنّ الصنم ليس الإله، بل إنّه فقط يمثّله"، فإنّ هذا الصنم ممثّلٌ

ضعيف لله! يجب على الفرد أن يتخلّصَ من الصنم ويرى الله على حقيقته، أي خالق الحياة وحافظها. وكما ورد في المزمور 50: 9- 12، لا يحتاج الله إلى ذبائح الإنسان، لأنّه يعرف كلَّ طائر ويملك كلَّ كائن حيّ.

عندما يُنظَر إلى الله باعتباره صخرة أو شجرة أو نجم، فإنّه يُصبح مجرّد كائن غير حيّ يفتقر إلى الصفات التي ننسبها إلى الكائنات الحيّة. وإذا نظرنا إلى الله على أنّه بقرة، أو إمبراطور، أو سَلَف، فإنّه يُصبح كائنًا حيًّا فانيًا، أو بقرةً أدنى شأنًا من الإنسان، أو إمبراطورًا يتمسّك بالسلطة بالقوّة، أو سلفًا يُمارس السيطرة من خلال الخرافات. لا يتناسب أيٌّ من هذه الخيارات مع مفهوم "الله" باعتباره شخصًا يستحقّ التكريم الإلهي والشركة والدّعاء. لذا، عندما ننظر إلى الله باعتباره كائنًا "روحيًّا" غير مقيّد بالزمان والمكان، فإنّنا ندرك أنّه ذاك الذي يمتلك عقلًا غير محدود، وقدرةً على الإرادة والقصد، وقوّةً لا متناهية، ويمتلك صلاحًا أخلاقيًّا وعواطف ومحبّة وشخصيّة.

إنَّ استيعابَ فكرة أن الله قد وضع في كلِّ واحدٍ منّا الإحساسَ بالأبديّة أمرٌ صعب. ومع ذلك، يميل علماء الأنثروبولوجيا إلى تأكيد هذه النقطة من خلال اكتشافهم أنّ وجود النشاط الديني موجود في جميع الحضارات القديمة والحديثة. في أعمال الرسل 17: 15-34، يخاطب بولس الرسول مواطني أثينا، فيجمع في خطابه بين الفكرتين المذكورتين أعلاه: الفهم البديهي لله والخصائص البشرية التي تسمح للخليقة بالتواصل مع الخالق. يؤكّد بولس فهمهم لإله "غير معروف" بالإشارة إلى أنّنا مخلوقون بطريقة تجعلنا نُدرك أننا نفتقد شيئًا ما، أو شخصًا ما. (أطلق بايس باسكال على هذه القطعة المفقودة عبارة "ثقب على شكل إله في حياة البشرية"). يواصل بولس شرحَهُ مشيرًا إلى أنَّ الإله الذي لا يعرفونه (لكنهم يعرفون أنه موجود) هو الله الذي أرسل يسوع، وسيدين العالم بواسطته.

لقد وصلت الآن إلى المرحلة التي يجب أن تتّخذ فيها قرارًا آخر. لا يعتمد قرارُك على ما إذا كنت تؤمن بالله حقًا، ولكن لإكمال المقرّر، يجب عليك على الأقلّ أن تفترض وجودَ الله وفكرةَ أنّه أعلن عن ذاته في الكتاب المقدّس.

(ج) الدين: الوحي والمعجزات والشياطين. قد يعتمد الدّين، الذي يتضمّن السعي الروحي، على العمليات العقلانية المرتبطة بالفهم والأفعال والسلوكيّات، ولكنّه يفعل أكثر من ذلك. فإنّه يصبح وسيلة الإنسان لفهم العالم الروحي، وإدراك أساس الأخلاق المنطقيّ، وتقدير مفهوم علاقة العهد مع الله، والاقتراب من الأبديّة.

يرتبط "الدين" بالإيمان والطقوس والسلوك، ويعترف بفكرة وجود قوى في عالم الأرواح يجب استرضاؤها أو تكريمها. ومن منظور وثني، يجب استرضاء القوى والسيطرة عليها حتى تعمل لصالح الإنسان وليس لإيذائه. ومن المنظور المسيحي، يُكرَّم الله لما هو عليه ولما فعله. وإذا كان تعريفُ الدّين قائمًا على فكرة أنّ الإنسان يسعى للوصول إلى الله، فالمسيحيّة إذًا ليست دينًا. في المسيحية ينزل الله إلى الإنسان ويُنشئ علاقة معه. ويشهد على ذلك "الوحيُ" المسجّل في الكتاب المقدّس.

الوحي. لا تمتلك جميعُ الأديان كتب مقدّسة مكتوبة، ولا تُعلن جميعُها أنّ الله تكلّم من خلال كلمات إلى خليقته. لكن من المنظور المسيحي، أعلن الله عن ذاته من خلال النظام الطبيعي وشفهيًّا بواسطة أُناسٍ مختارين. وتُسمّى هذه العمليّة الأخيرة "الوحي الإلهي". إذا كان الإيمانُ عمليّةً عقلانيّة، فيجب أن نكون قادرين على استنتاج شرعيته من قراءة الكتب المقدّسة التي تُعلِن أنّها وحيٌ. ويجب أن تكون هذه الكتب المقدّسة منطقيّة.

إنّنا نخاطر عندما نسمح للعقل البشري بأن يحكمَ على صحّة جميع إعلانات الوحي، ولذلك يجب ألّا تكون إعلانات الوحي متناقضة في ذاتها أو متعارضة مع النظام الطبيعيّ. قد تشمل المعايير الشائعة ما يلي: هل تحقّقت النبوءات الواردة في الوحي؟ هل الأفكار الواردة في الوحي متماسكة؟ هل يتضمّن الوحي مطالب لا يمكن الدفاع عنها؟ هل تتوافق الإشارات التاريخية مع الحقائق التاريخيّة المعروفة؟ وهل يُعَدّ الوحي ذا قيمة؟

المعجزات. يحتوي العهد القديم على الكثير من الأحداث التي اقتحم فيها ما هو خارقٌ للطبيعة ما هو طبيعيّ. ومع اختلاف الظروف، اختلفت الأحداث. وبعض هذه المعجزات كانت: الطوفان في أيّام نوح (تكوين 6–8)، والضربات على مصر وخروج إسرائيل من مصر (خروج 7–14)، وإطعام بني إسرائيل في البرية (العدد 11)، وسقوط أريحا (يشوع 6)، وحديد أليشع الذي طفا على الماء (2ملوك 6: 1–6)، وتراجع الشمس في الدرجات (إشعياء 38: 1–8).

كانت المعجزات سمة مميّزة لخدمة يسوع. إن الروايات المباشرة في الأناجيل وشهادة التاريخ تجعل هذه الروايات ذات مصداقية. شفى يسوع المرضى، وأقام الموتى، وحوّل الماء إلى خمر، وضاعف كميّة صغيرة من الطعام بحيث أصبحت كافية لإطعام الجموع، ومشى على الماء، وانتهر العاصفة.

يؤكد العهد الجديد أيضًا أنّ الرّسل كانوا يتمتعون بالقدرة على إجراء المعجزات. في بعض الأحيان، يمكن أن تنتقل المواهب إلى الجيل الثاني من المؤمنين. ويبدو أنّ استخدام المواهب الروحية كان منتشرًا على نطاق واسع، مع أنّه قيل إنَّ قائمة كبيرة من المعجزات سُجِّلَت في كورنثوس أكثر من أيّ مكان آخر (1كورنثوس 12: 4–11). أوضح بولس الرسول أنّ التباهي بأنّ الموهبة الفائقة تمنح الفرد درجةً أكبر من الروحانيّة كان بحدّ ذاته غير روحيّ. لقد دعا إلى إظهار المحبّة التي تقدّم دليلاً على عمل الروح القدس في حياة المؤمن (1كورنثوس 13؛ غلاطية 5: 22).

امتلك يسوع قوى خارقة تفوق قوى الآخرين. قد يظنّ المرء أنّ هذه القوى نشأت عن وعيٍ برسالته، ولكنّها كانت في الحقيقة دليلاً على ارتباطه بالله. إنَّ مدى تمتّع الرسل والمؤمنين الأوائل بالقدرة على صنع المعجزات لا بدّ من أن يكون مرتبطًا بتوسيع نطاق خدمة يسوع.

نشأت المعجزات التي أجراها يسوع ورسلُه من ظروف خِدمَتِهم. وقد أفاد الكثيرُ من هذه المعجزات الناسَ من خلال الشفاء، ومع ذلك تم إجراؤها بشكل انتقائي للغاية. وعلى الرّغم من صلاح فِعل الشّفاء، فإنّ شفاء كلّ مريض لم يكن الهدف الأساسي من المعجزات. كانت معجزات يسوع ورسلِه مميّزة وذات صلة بخدماتهم، ولا يمكن تقديرها من دون فهم السياقات التي أُجريت فيها. سُمّيَت معجزات لأنّها كانت انتقائية وخارجة عن المألوف والمعتاد. وعلى الرّغم من أنّ حضورَ الله في حياة شعبه اليوم يختلف عن المعجزات من حيث نطاقها والغرض منها، فإنّه ضروريٌّ لمفهوم الروحانيّة. الله يعمل في عالمه بطرق خاصّة لا يفهمها العالم، لكن هذا لا يعني أنّ المعجزات تحدث بشكلٍ روتيني.

ليس الله محدودًا وهو قادرٌ على صنع المعجزات، وغالبًا ما نتحدّث كما لو أنّنا شهدنا حدوثَ بعضِها. لكن يعود جزءٌ من السؤال عن المعجزات إلى علم دلالة الألفاظ. ما هي المعجزة؟ هل هي استجابة لصلاة المريض؟ أم هل هي ببساطة "عناية إلهية"؟ هل يُعدّ إنقاذُ شخص ما من التسونامي معجزةً؟ الأسئلة كثيرة،

والتصنيفات مشوّشة، وقد تكون الإجابات غير واضحة أو ممكنة. ومع ذلك، إنّ الاعتقاد بأنّ الله قد تدخّل في العالم المادّيّ هو جزءٌ من التجربة الروحيّة.

العالم الشيطاني. أظهرت قدرةُ يسوع على إخراج الشياطين سلطانَه على العالم الشيطاني. وعندما اتّهمه خصومُه بإخراج الشياطين بسلطان الشيطان، قال: "إِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يُخْرِجُ الشَّيْطَانَ فَقَدِ انْقَسَمَ عَلَى ذَاتِهِ"، ثم أضاف: "وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ!" (متى 12: 22–28).

كان الشياطين معروفين في العالم القديم، وتعامل المسيح معهم ومارس السيطرة عليهم (كولوسي 2: 15). وفقط بواسطة المسيح يمكن التغلّب على الشياطين. "فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ." إذاً، لا ينكر الإنسانُ الروحيّ العالمَ الشيطاني، بل يتحصّن ضدّه عبر ارتداء "سلاح الله الكامل" (أفسس 6: 12– 13).

التأمل. تدعوك التمارين أدناه إلى التأمّل في الأسئلة المطروحة. ليس مهمًّا أن تحلَّها، إنّما الأهمّ هو تأمّلك. استخدم الأسئلة أو التصريحات كمحفزات. لا تحتاج إلى الإجابة عن كل سؤال، ولكن يجب عليك مناقشة السؤال بالخط الغامق. تأتي الفائدة في التأمّلات عندما تنظر إلى طريقة تفكيرك بعد مرور الوقت أو عندما تكمل المقرّر.

يجب أن تحتفظ بهذه التأملات كجزء من دفتر يومياتك. لن تقوم بإرسالها جميعها ولكنّك ستفكّر في القليل منها لتقديمها في نهاية المقرّر.

التأمل 1–1 .ما هي إمكانية تواصل الله مع الإنسان؟ إذا نظرنا إلى الطبيعة، يمكننا أن نقول إنه يعبّر عن شيء من كيانه – قدرته، وإحساسه بالجمال، وحتى غضبه. ولكن ماذا عن المصادر التي تدّعي أنّ لها سلطة إلهية؟ بأي معيار يمكن تقييم مثل هذه الادعاءات؟ ما هي المشاكل التي تعالجها هذه المصادر التي تقع خارج نطاق العقل البشري؟ هل هناك أي شيء فات البوذية من خلال تأملاتها الداخلية؟ مع التركيز القوي على المسعى البشري، هل هناك ما يمكن معرفته يتجاوز ما يعرفه العقل البشري؟ هل هناك ما يمكن معرفته ويتجاوز ما يمكننا معرفته من خلال مراقبة الطبيعة؟ ما الذي يميّز الوحيَ الإلهي؟ وهل يتعارض مع

المعرفة التي يتوصّل إليها العقل البشري؟ ما هي ضوابط الوحي الإلهي؟ هل كلّ الرسائل التي تدّعي أنّها من الوحي الإلهي هي حقاً من مصدر إلهي أم هل بعضُها مزيّف؟

يجب معالجة المسائل المذكورة أعلاه بطريقة عقلانية. ويجب ألا يكون هناك تعارض بين العقلاني وغير العقلاني. يحدث التعارض عندما يسعى أحدُهما إلى إبطال الآخر، سواء عندما يستبعد العقلُ الروحانيات تمامًا، أو عندما يؤدي اعتراف المرء بالعالم الروحي إلى فصله عن الحياة البشرية الطبيعية. ومن المهمّ أن نوضّح هنا أنّ تعريفنا للعقلاني يركّز على العقل من دون أن نجعله الحكم النهائي على صحة ما هو معقول. كما أنّنا نعرّف البصيرة الروحية على أنّها تلك التي تأتي من الوحي القابل للفهم والإدراك.

التأمل 1–2. السؤال الرئيسيّ هنا هو: هل حدثت معجزاتٌ من قبل؟ هل من المنطقي الاعتقاد بأنّ

الله قد تدخَّل في شؤون الإنسان بواسطة فعلٍ يسمح موقتًا بإبطال المسار الطبيعيّ؟ جوابًا عن هذا السؤال يجب أن نعترف بأنه من المعقول أن نؤمن بتدخّل الله، تمامًا كما ننفي ذلك. إذا كان المرء ينسب الخلق إلى الله، فلا يمكنه أن ينكر حدوث المعجزات. ما الذي يستبعد إذًا إمكانية أن يكون الله قد عمل بواسطة خليقته في بعض الأحيان للقيام بأمور خارقة للطبيعة؟ لماذا نحدّ من قدرة الله على المجيء إلى الأرض؟ لماذا نقيّد قدرته على محبّة البشر؟ ولماذا لا نؤمن بقدرته على أن يكون له ابن؟ لمَ لا يستطيع ابنُه أن يمشي على الماء ويشفي المرضى ويقيم الموتى؟ لماذا نُسرِع في الحدّ من قدرة الله، في حين أنّنا نعتمد بسهولة على العلم البشري للقيام بأعمال مماثلة؟

إنّ إمكانية حدوث المعجزات لا تعني القبول العشوائي لمزاعم المعجزات. فليس كلُّ شخص يدّعي القدرةَ على الشفاء قادرًا على القيام بذلك، وليس كلُّ مكان تعيّنه الكنيسة كمكان للشفاء هو بالفعل مكانًا للشفاء. عندما يتمّ استخدام التفكير العقلانيّ لفحص صحّة ما يقوله المدّعون، يجب طرح أسئلة معيّنة. كيف حصلتَ على سلطة إجراء المعجزات؟ هل يمكن إثبات ادّعاءات المعجزات؟ ما مدى اتّساق أداء المعجزات المفترضة مع الكتاب المقدّس؟ تبيّن الأسئلة السابقة كيف ينبغي استخدام العمليّة العقلانيّة لموازنة ادّعاءات البصيرة الروحية.

التأمل 1–3. ما رأيك بوجود الشرّ في ضوء سيادة الله؟ اقرأ مقدّمة سفر أيوب في العهد القديم (أيوب 1: 1–2: 8). من خلال المقدمة، ستتّضح لك حقيقة الشيطان ونواياه الشريرة. وليس الغرض هنا استعراض طابع السفر الأدبيّ أو التركيز على مشكلة المعاناة.

موارد عبر الإنترنت/قراءة من كتب دراسيّة

سوف تجد المقال التالي استفزازيّ.

"المعجزات" بقلم ديفيد كورنر، موسوعة الإنترنت للفلسفة

اقرأ النسخة المطبوعة أو شاهد الفيديو على الإنترنت: "المعجزات" لجون لينوكس

الآن وصلت إلى مفترق طرق جديد في رحلتك. وحتى هذه اللحظة، قبلتَ منطقيًّا فكرة وجود الله وتفاعله مع البشر. أمّا المرحلة التالية فستتناول مفهوم «المقدّس» وعلاقته بالروحانية. هل أنت مستعدّ لمواصلة رحلتك؟

الجزء الثاني: المُقدَّس

في الاستخدام الشائع، تصف كلمة "الروحانيّة" نطاقًا واسعًا من المشاعر والأفكار. فقد تسمع شخصًا يقول "هذا شيءٌ روحيٌّ جدًّا" وهو يقصد فقط أنَّ هذا الشيء يمنحه إحساسًا بالذات، أو "أشعر أنّني مرتفعٌ روحيًّا" أي يعني أنّ شعورًا رائعًا يعتريه. يمكن تسمية ذلك "شبه روحانية"، لكنّه ليس روحانيّة حقيقيّة. في سياق هذا المقرّر، للروحانيّة معنى محدّد أكثر.

تشمل الروحانيّةُ العقلَ البشري، لكنّ اهتمامها الأساسي هو الاتصال بالعالم غير المادي (الروحي). لكن لا تُعَدّ جميعُ العلاقات مع العالم الروحي روحيّةً؛ فالعالم الروحي يضمّ عناصر الخير والشرّ. وهنا، على وجه

التحديد، تشير الروحانيّة إلى الاتّصال بالخير الموجود في العالم غير المادّي، ولا يمكن فهم هذا «الخير» إلّا من خلال علاقته بما هو "مقدّس".

"المُقَدَّس" هو نقيض المدنَّس أو العلمانيّ أو الدنيويّ. وبشكلٍ جدليّ، سنعرّفه على أنّه شيء يختلف عن صفات الخير الفطرية الموجودة في الإنسان. في بعض النواحي، يُعَدُّ تصنيفُ الأشياء إلى دنيويّ ومقدّس طريقةً مناسبةً للتمييز بين كيانين يبدوان مستقلّين. ومن ناحية أخرى، يسبّب هذا انقسامًا يُحدث تنافسًا غير ضروريّ بين المجالَين. فالعقل البشريّ قادرٌ على التفكير في الأمور الميكانيكية، وفي الوقت نفسه، التعبير عن التعاطف مع الأشخاص الذين يعملون مع الآلات، وبالتالي يمكن القول إنَّ "العلمانيّ" و"الروحيّ" يمكن أن يتعايشا معًا.

يمكننا التعبير عن ذلك على النحو التالي: تتعلّق الروحانيّة بالمقدّس، ويختلف ما هو مقدّس عن شؤون العالم الماديّ الدنيوية والعلمانيّة والمدنّسة. إنّه نقيض الشرّ في عالم الأرواح، ولا ينبغي الخلط بينه وبين ضمير الإنسان الفطريّ. الروحانيّة هي "حالة" أو "عملية" يتّصل من خلالها المرءُ بما تمّ تكريسه أو فصله عن العلمانية وكذلك عن الشرّ. يعيش الشخصُ الروحيّ في عالم علماني، لكنّ الروحانيّة تجعل هذا الشخص يتصرّف في العالم العلماني بطريقةٍ أكثر مسؤوليّة.

الجزء 2 من الوحدة هو الجزء الثاني من المرحلة الأولى من الرحلة. لقد وصلتَ إلى هذه المرحلة بافتراض أنّه من المعقول أن تؤمن بعالم الأرواح الذي يشمل الله والشيطان، والآن أنت مستعدٌّ لاستكشاف المقدّس. الافتراض الرئيسيّ هو أنّ المقدّس هو حقيقة خارجيّة.

أ. تعريف المقدّس. للمضي قدمًا، عليك أن تفترض فكرةَ أنّ عالم المقدَّس مرتبط بالله الذي يُعَدّ المعيار الذي به تُعرَّف القداسةُ وتُقاس. يشير مفهوم القداسة إلى أنّ بعض الأشياء قد تكون مقدّسة، في حين أنّ أشياء أخرى تكون عادية. علاوة على ذلك، لا معنى لفكرة القداسة بمعزل عن الله. يعمل الإنسان الطبيعي على معايير الصواب والخطأ، وتُصدر الديمقراطيات قوانين تحدّد ما هو قانوني وما هو غير قانوني. وقد تعكس المعايير الشخصية والقانونية ما هو فاضل وشريف لأنّ الإنسان تشبّع بالفطرة بالشعور بالآداب والنظام. فبالمعنى العلماني العقلاني، قد تكون هذه الفضائل الإنسانية مستمدة من الله، وبالتالي هي "مقدسة"، ولكن

في سياق الروحانية التي ترتبط بالمقدّس بوعيٍ وتعمُّد، هناك فرق نوعيّ وكميّ على حدّ سواء. هناك بُعدٌ للروحانية لا يمكن فهمه إلا بمعزل عن النظام الطبيعي.

المصطلحات. المرادفات المستخدمة بشكل عام للمقدّس هي: المبارك والمكرَّس والموقَّر. عندما يتم تقديم فكرة المقدّس، يتم تصنيفها على الفور كمسألة "دينيّة". في الكثير من عالم اليوم، يُعتبَر "الدين" مسألة قناعة شخصية يجب أن تبقى خارج مكان العمل وخارج السياسة. لقد علّمنا التاريخ أهميّة فصل الدّين عن السياسة، ولكن أيّ نوع من النظام السياسيّ سيكون لدينا إذا تمّ تجاهل جميع القيم الروحيّة؟ من المستحيل معرفة إلى أي مدى يكون الإنسانُ "متديّنًا" عندما يمارس الصدق والنزاهة والرحمة. هذه الصفات لا يمكن تحليلها في أنبوب اختبار كيميائي، وهي أساسيّة لتحقيق مجتمع سليم وآمن. وإذا تمّ الاعتراف بها على أنّها "عقلانية"، فإنّ الصفات الأخلاقية ليست كلُّها "مقدسة". وعلاوة على ذلك، ارتبط أحدُ المترادفات – وهو القداسة (holiness) – بالأخلاق. ينتمي مفهومُ القداسة، مع كلّ ما يصاحبه من مواضيع، إلى مجال الروحانيات وليس إلى مجال العقلانية الإنسانية الفطرية. لا يعني هذا أنّ القداسة غير عقلانية، بل أنّه يوجد هنا بُعدٌ ليس بالضرورة متأصّلًا في العملية العقلانية.

ليس بالضرورة أن يكون الاستخدام الشائع لمصطلحَي "مقدّس" و"مكرَّس" (sacred وholy) هو نفسه كما كان في الأصل عبر التاريخ. وقد لا يُنقَل المعنى الكامل عند ترجمتهما من اللغات القديمة إلى اللغات الحديثة، لذلك، يجب أن ندرس التعريفات القديمة إذا أردنا أن نكتسب فهمًا صحيحًا لتلك المصطلحات. على سبيل المثال، تُربَط القداسةُ اليوم بالشيء الصالح تمامًا من الناحية الأخلاقيّة. ومن منظور العهد القديم، تتعلّق القداسة بعلاقة العهد مع الله، الذي يوصَف بـ"القدّوس" (انظر لاويين 11: 44). وهكذا، في السياق القديم، كانت القداسة أكثر من مجرد شريعةٍ جيّدةٍ أو شيءٍ حسنٍ أو دينيٍّ. القداسة هي صفة مرتبطة بالله، وتميّز مَن يحبّونه وترفعهم.

عوامل التعريف. لا يمكن تعريف كلمة "مقدّس" تعريفًا دقيقًا، لأنها تمثل قيمًا فريدة وحالة ذهنية فريدة. من ثم، عندما نتعامل مع عنصر روحي، يجب أن ندرك أيضًا الوعي الشخصي والعمل الروحي في داخله.

إذا تُرك للبشر تحديد الخير والشر، فإن ذلك يعتمد على ثلاثة أركان أساسية: (1) الحدس، (2) والإجماع الاجتماعي والتشريع، (3) والتقييم الفردي والشخصي. عند التعامل مع "المُطلَق" الذي يشمل شخص الله، يُعَدّ أساس المقدّس الحقيقيّ هو شخص الله. في الأمور المقدسة، يصبح الله ضامنًا وعوده، لأنّه صادقٌ دائمًا مع نفسه. لا يضع هذا المطلقات في العالم العقلانيّ فحسب، بل يعطي أيضًا مصداقية لمحبّة الله كما يعطي مصداقية لغضبه.

بإيجاز، نحن نتعامل مع مواضيع تتجاوز قدرتنا على الفهم. ليس المقدّس والعلمانيّ بالضرورة متعارضَين. إذا كان المقدّس معاديًا للعالم المادي، فإنّ الله لا يمكن أن تكون له علاقة بالعالم الذي خلقه. تعاملت الغنوصية مع هذا الأمر من خلال نسب خلق الكون إلى إله أدنى. وكانت لهذا الإله الأدنى شأنًا قوّةٌ كافيةٌ للخلق، ولكن لا بدّ من أن تكون هناك فجوة كبيرة بين الإله الأدنى والإله الأعلى. وإذا كان الإله الأدنى يُعتبر إلهًا بالفعل، فلا يمكن أن يكون مرتبطًا بالمادة التي كانت تعتبر شرًّا. هذه الأفكار لا يمكن الدفاع عنها.

من ناحية أخرى، إذا تمّت مساواة المقدس (وهو الله في هذه الحالة) بالكون، فالنتيجة هي وحدة الوجود. ليس المقدس مساويًا للعلماني، ولكن ليس هذان متضادّين أيضًا. على عكس إله الحجر أو الخشب، "الرَّبُّ فَفِي هَيْكَلِ قُدْسِهِ. فَاسْكُتِي قُدَّامَهُ يَا كُلَّ الأَرْضِ" (حبقوق 2: 20).

ليس العلمانيُّ بطبيعته "غير مقدس"، وإنَّ وصفَ مكانٍ ما بأنه "غير مقدس" أو "مقدس" لا علاقة له بالمنشأة نفسها. بعبارة أخرى، ليس المرحاضُ أكثرَ دنسًا من مكتب الفرد، وقد تصبح غرفةُ النوم مكانًا "غير مقدس" إذا أقام الرجل علاقة جنسية مع امرأة ليست زوجته، لكنّ الغرفة نفسها ليست مقدسة ولا غير مقدسة. قد يُعدّ المبنى المخصّص للعبادة المسيحية "مقدّسًا"، ولكنّه في حدّ ذاته ليس أكثرَ قداسة من محلّ البقالة. يُعزى الشعورُ بالقداسة إلى المكان عندما يكون هذا الأخير مخصَّصًا للعبادة ويتطلب الاحترام، مثل المقبرة. فيبقى الطوب والملاط طوبًا وملاطًا. أمّا وصفنا لشيء ما بأنه مكان "مقدس" فهو مجرّد اختراع. بنى الشعب القديم "المَسكَن" في البرية بأمر من الرّبّ، وكان يحتوي على "القدس" و"قدس الأقداس". وكان الأمرُ كذلك ليس لأنّ المواد ذاتها كانت مقدسة، بل لأنّ الخيمة كانت قد خُصصت لأغراض خاصّة تتعلّق بوجود الله مع شعبه. وكذلك الأمر مع الهيكل الذي بناه سليمان.

الإنسان والمقدس. العالمان الماديّ والروحيّ موجودان بدون وجود الإنسان، وبالتالي، هما عنصران بديهيّان من عناصر الكون. من منظور عقلاني حقيقي، ربّما صنع العقلُ البشري الدِّينَ للتعامل مع الحقائق المدركة. ومن منظور أوسع، الدين هو استجابة الإنسان للحقائق المطلقة.

عندما يسمع الفردُ الإنجيلَ (أي الخبر السارّ بأنّ الله يحبنا وقد وضع خطة لنا للتحرّر من الخطيئة)، يميل إلى استخدام أفكار ومفاهيم مألوفة لديه لفحص ما يسمعه وتفسيره. وهذا صحيح بشكل خاص عندما يتعارض ما يسمعه المرء مع ما يؤمن به. وعندما يقوم بتعديل تعاليم الإنجيل لتتوافق مع المعتقدات والمواقف والعادات الراسخة تكون النتيجة هي التوفيقيّة. إنَّ قبولَ الشخص أفكاره المفضّلة ورفض ما يراه غير مقبول يُنشئ لديه رؤية شخصية للعالم. لكنّ هذه العملية لا يمكن أن تؤدي إلى إيمان روحيّ لأنّ جوهر الإيمان ليس مسألة تسوية.

لا يمكن للبشر أبدًا أن يصلوا إلى الحب المطلق أو الخير المطلق في العالم المادي. ولكن يجب ألا يستنتجوا أنَّ لديهم حرية الانتقاء والاختيار من السلة الروحية تلك العناصر الجذابة ورفض تلك التي لا تناسب نمط حياتهم. وهذا لا يعني القول إنَّ الخلاص (أي التصالح مع الله والعودة إلى الشركة معه) يعتمد على الكمال البشري، بل عندما يسعى الإنسان إلى الروحانية، فإنّ الله لا الإنسان، هو الذي يحدّد تعريفات الروحانية. المفارقة هي: يمكن للإنسان أن يتخيل فقط الكمال المطلق الخاصّ بالأمور المرتبطة بالله؛ فهو لا يستطيع بلوغه في ذاته. وفقط من خلال عمل الله الفدائي بواسطة يسوع المسيح يصبح الإنسان مقدّسًا. ومن منظور الكتاب المقدّس، صار لنا المسيحُ يسوع "بِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً" (1كورنثوس 1: 30).

إذا وصلتَ إلى المرحلة التي تعتبر فيها أنّ الله هو المعيار لتعريف القداسة وقياسها، تكون مستعدًا للانتقال إلى المرحلة التالية التي تنظر في ما إذا كانت القداسةُ مرغوبةً.

ب. ما الذي يجعل القداسة مرغوبة؟ يجب أن ننطلق من افتراض أن القداسة لها قيمة متأصلة بسبب ارتباطها بالله.

الله والإنسان. يجلب مفهومُ الله باعتباره كائنًا متساميًا انطباعات مختلطة. إذا كان هذا التسامي مرتبطًا بوصف الله كقوّة فوقية متسلطة تنتظر ضلالَ مخلوقاته كي تتمكّن من سحقهم، فإنّ المفهوم خاطئ. قد يكون الله متساميًا بمعنى أنّه "الآخر المختلف عن الآخرين" الذي لا تحدّه القيود المادية، ولكن ليس بمعنى الشخصية. الكلمة الأفضل هي "رفيع". فالله يمتلك قيمة حقيقيّة باعتباره مستحقًا التسبيح، وهو يقترب من الإنسان مرارًا وتكرارًا ويتدخل تدخّلاً متكرّرًا في التاريخ البشري لتحقيق مقاصده.

بالنظر إلى شخصية الله الجليلة، يصبح ضلال الإنسان واضحًا. وعندما يعي المرء هذا الفرق الكبير، يجثو على ركبتيه ويستشعر ليس فقط المسافة بين الذات والله، بل أيضًا علوّ ذاك الذي لا يستطيع أن يختبئ أمامه، كما اكتشف آدم وحواء في الجنّة (تكوين 3: 10).

إن اللقاء مع القدوس، أي مع الله، يجعل هذا الأمر واضحًا بسبب عدم قدرة الإنسان على الوقوف أمام الله. عندما رآهُ النبيُّ إشعياء، اعترف بأنّه إنسان نجس الشفتَين. لم ينبع عدمُ أهلية إشعياء من ذنب واحد، بل من كونه خاليًا من الطهارة التي تمكّنه من الوقوف أمام الله. كون إشعياء رجلًا مستهلكًا بالعالم المادي، لم يكن مثل خالقه. ولم يكن الحلُّ لمشكلته إبعادَهُ عن العالم الدنيوي بل التطهير وإزالة الذنب والتكفير عن خطاياه (إشعياء 6: 5–7).

سواء أدرك المرء ذلك أم لا، هناك هوة كبيرة بين الله والإنسان. وبانتهاك معيار القداسة الذي يحدده الله نفسه، يصبح الإنسان خاطئًا. يعمي الإنسان الطبيعي عينيه عن حقيقة المقدس، معتقدًا أنه يستطيع أن يتجاهلها بنجاح. أولئك الذين يميلون إلى الأمور الروحيّة يصبحون منفتحين على المقدّس ويتجاوبون معه، لا بخوف، بل بالرهبة والتسبيح و والعبادة. ومع ذلك، إنّ الشعور بالرهبة ليس بديلاً عن الفداء. لقد أدرك إشعياء أنَّ حالته غير المنتهية تتطلب تطهيرًا أخلاقيًا. لذا، يُعَدّ الفداءُ (علاج الله للخطية) بواسطة يسوع المسيح ردَّ الله على حالة الإنسان الخاطئة. ومن خلال المسيح، يمكن للإنسان أن يتطهر. وإنَّ الرهبة والتسبيح والعبادة التي يرفعها المرء في المسيح أمام الله تصبح نتيجة متوقعة من اللقاء مع القدوس.

عندما يدرك الإنسان في الوقت المناسب عدم استحقاقه أمام الله، يدرك أن القداسة، إذا أمكن تحقيقها، توفّر إحساسًا بالقيمة والثقة. تجلب القداسة بركات لا يمكن تحقيقها إلا من خلال الله. وكما قال الرسول بولس

الرسول، إنّ يسوع "صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً" (1كورنثوس 1: 30). يُلغي هذا الفعل إمكانية التفاخر البشري. فقد حمل يسوع خطايانا على الصليب وأعطانا برَّهُ (2كورنثوس 5: 21).

إذا كانت للقداسة قيمةٌ متأصلة بسبب ارتباطها بالله، فيجب أن يكون المفهوم مدعومًا بشهادة الكتاب المقدس. قرارك الآن هو ما إذا كنت ستعتبر السجلّ الكتابيّ قاطعًا في هذا الصدد.

شهادة الكتاب المقدس. من خلال افتراض صحّة السجلّ الكتابيّ، سوف تقرأ لتكتشف ما يقوله الكتاب المقدّس بالتحديد عن المقدّس.

من منظور الكتاب المقدّس، يتشكّل العالم غير المرئي من كيانين: قوى الخير وقوى الشر. جوهر الخير هو الله، أمّا رأس قوى الشر فهو الشيطان. لا يؤيّد الكتاب المقدّس الثنائية، حيث تتساوى القوتان وتكون النتيجة النهائية للصراع غير مؤكدة. يعمل العالمُ الشيطاني بإذنٍ من الله، وفي الوقت المناسب، عندما يكتمل قصد الله، سوف يُصبح هذا العالم منعزلاً.

يختلف عالم غير المنظور عمّا نختبره من خلال حواسنا الخمس. ومع ذلك، إن عالم الأرواح وبخاصّةٍ قوى الشر، يجذبنا من خلال الحواس. حدث اقترابُ الشيطان من حواء في الجنة من خلال الحواس، وكذلك من خلال جذبها إلى الاستقلال عن الله. يقول الكتاب المقدّس: "فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ" (تكوين 3: 6). ولأنّ الله منعها من أكل هذه الثمرة، فإنّ قرارها بعصيان الله غيّر علاقتها به.

يثير عالمُ غير المنظور مجموعةً من المشاعر المختلفة عمّا نختبره عادةً. العالمان الشيطاني والإلهي يمكن أن يكونا مرعبَين. وما هو عادةً بعيدٌ ومتسامٍ يخترق عالم البشريّة الطبيعي. ويُعدّ ما هو خارق للطبيعة، بحكم طبيعته، فوق الطبيعي ومتميّزًا عنه. إنه خالد وغير مقيّد بالقيود المادية.

يعترف العهد القديم بوجود كلّ من الخير والشر في عالم ما وراء الطبيعة. ويظهر الله في سفر التكوين على أنّه الخالق، ويظهر الشيطان على أنّه المُجرِّب (تكوين 1–3). يكشف يهوه (الكلمة المعترف بها في الكتاب المقدس العبري باعتبارها اسم الله الشخصي) عن نفسه بصفته صاحب السيادة، أمّا الشيطان فيظهر بصفته

المتحدّي. يمثّل الله ما هو خير، ويمثّل الشيطان ما هو شرير. تكشف الكلمة المقدّسة عن شخص الله وحضوره، وفي الوقت نفسه، إنّ تأثير الشيطان قوي (انظر أيوب 1: 1– 2: 10). هذا سياقٌ توجد فيه الروحانية في العهد القديم.

في حالات عدّة في الكتاب المقدّس، يتجلّى شخص الرّب للإنسان. كشف الرّب عن مجده لموسى (خروج 33: 12–23). ويُظهر المشهد الدرامي الوارد في سفر إشعياء تجلّي الرب كقوة غامرة تتّسم بصفات الكمال من حيث القدرة والقداسة (إشعياء 6). يُرمز أيضًا إلى مجد الله في حزقيال على أنه شيء قد يضيء في الهيكل، ولكنّ سلوك الشعب الخاطئ قد يدفع الرب إلى سحب مجده من ذلك الهيكل الذي بناه الإنسان (حزقيال 10). والمشهد الذي يُصوَّر فيه المجد الزائل محاطٌ بالغموض.

في مشهدٍ أقل دراماتيكية، يستدعي الله أيوب (أيوب 38–41). وعلى الرغم من أنّ أيوب لم يتراجع عن موقفه أمام متَّهميه، فإنّه كان يتساءل عن سبب سماح الله بحدوث أمور سيئة له. لقد أكّد أن معاناته لم تكن عقابًا على خطيئة عظيمة، وفي ذلك كان مبرَّرًا. ولكن بعد لقائه مع الله الذي سأله عن الحوادث الشائعة في الكون، قال: "لِذلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ" (أيوب 42: 6). في التجربة نفسها، أبرأ الله أيوب واحتضنه. لقد تأثّر وعيُ أيوب، ولم يكن الله هو من تسبّب في ذلك، كما أنّه لم يحدث أيّ سلوك يدلّ على الجنون.

في النهاية، لم يُجِب الله عن سؤال أيوب "لماذا أتألّم؟"، مع أنّه كان يعلم بالتأكيد. لكن كان الهدف من ردّه على أيوب أن يُظهرَ له أنّه ليس نظيرًا له. هناك بعض الأسئلة التي يجب أن تُترَك من دون أن تُطرَح. إنّ عظمة الله المطلقة لا تسمح للبشر الفانين بفهم ذاته الحقيقيّة فهمًا كاملاً. وكأنّ الله كان يقول لأيوب: "دعني أكون إلهًا وكُن أنتَ إنسانًا". هناك بعض الأشياء التي تخص الله، وبعضها الآخر يقع في مجال الإنسان. وتمامًا كما حدث عندما فشل موسى في تقديس اسم الرب وضرب الصخرة (العدد 20: 6–12)، يحتاج الإنسان دائمًا إلى الامتثال لله. فطرق الله أسمى من طرق الإنسان (إشعياء 55: 8–9).

الله حيٌّ وهو مصدرُ الحياة وضامنها، وعلى عكس البشر، لا يخضع للموت الجسدي. إنه غير محدود في التفكير ضمن حدود العقل البشري، وهو غير مقيّد بمتطلبات الجسد. إنّه قادرٌ على أكثر من ذلك بكثير.

يظهر الله في العهد القديم كإله غيور يمارس غضبه على المتمرّدين وفاعلي الشر. وفاعلي الشر. وهو "غيور" بمعنى أنّه لا مثيل له؛ لا يوجد أمرٌ آخر يستحقّ مثل هذا التكريم. لا يمكن لأحد أن يقف في وجه قداسة الله الذي يحمّل إسرائيل والأمم على حدٍّ سواء مسؤولية أفعالهم. إنّه يُحافظ على بِرّه.

لقد أُطلق على المسيحيين الأوائل لقب "قدّيسين"، تعبيرًا عن طبيعتهم "المقدسة" في المسيح. هذه القداسة مرتبطة مباشرة بعلاقتهم بيسوع وإيمانهم به. والمقصود أنّهم خُصِّصوا لله، لا أنّهم صاروا آلهة صغيرة كاملة. يميز هذا المصطلح هؤلاء التلاميذ عن الدنسين أو العلمانيين. ويُعرف هؤلاء القديسون أيضًا باسم الكهنة الذين يمثلون أمام رئيس الكهنة، يسوع. وتُعدّ صلاتهم جزءًا من ذبيحتهم الحية التي يقدمونها لله باستمرار من خلال المسيح.

التأمل. تهدف أنشطة التأمّل التالية إلى تعزيز وعيكم بتأثيرات المقدس من الناحية الأخلاقية، وتسليط الضوء على الاستجابة الإيجابية التي يثيرها المقدس.

التأمل 1–4. كيف تصف طبيعة الله؟ يسلط الرسول بولس الضوء على معضلة الإنسان. بسبب قداسة الله، إنّ "غضبه" يتحوّل ضدّ كل إلحاد وشر. ومنذ بداية الوجود البشري، ليس للإنسان أي عذر لعدم إدراكه "صفات الله غير المنظورة، أي قدرته الأزلية وطبيعته الإلهية". اقرأ وتأمل رومية 1: 18–32. تفاعَل مع الكلمة المقدّسة.

التأمل 1–5. ماذا يجب أن يكون موقفُ الإنسان في محضر الله؟ على الرّغم من أنّ اللقاء بالمقدَّس يولِّد إحساسًا بعدم الاستحقاق، فإنّه لا يولِّد بالضرورة الخوف أو الرعب. كما أنّه يثير الرغبة في الاعتراف بالمقدّس والانحناء أمامه وعبادته. ويقودنا إلى الاعتراف بكَمال ذاك الذي نُكرمُه، وتقديم العبادة له وحده لأنّه مستحقّ.

إنّ الإله المُعلَن في الكتاب المقدس العبريّ والإله الموجود في الكتب المقدّسة اليونانية هو واحد. إنه الإله القدوس نفسه الذي يعمل لمصلحة خليقته. في الكتب المقدسة العبرية، يعمل على تحقيق فعلٍ سامٍ يجلب القداسة لخليقته. قارن الصياغة في إشعياء 6 مع تلك التي في رؤيا 4. اقرأ المقطعين بانتباه واكتب مقارنة. يمكنك أن ترسم رسمًا تمثيليًّا لتوضيح المقارنة.

.cالمقدس ويسوع المسيح. كما في العهد القديم، يُقدَّم الله في العهد الجديد على أنه القداسة المطلقة. لقد أكمل عملية الفداء المنتظرة منذ آدم، وأتمّ الوعود التي قُطعت لإبراهيم، وأتمّ العهد الذي قُطِع للشعب القديم بواسطة الصليب. وفي هذه العملية أظهر قداسته، ودعا جميع مخلوقاته البشرية لاختبار العظمة التي تحيط به.

شهادة يسوع. تأتي شهادةُ يسوع لشخص الله من علاقةٍ بالله تتخطّى العلاقة البشريّة. يعلن الكتاب المقدس أنّ يسوع هو "كلمة" الله الذي وقف مع الله عند خلق العالم، وجاء ليعيش في الجسد ويُظهِر محبة الآب ومقاصده للبشرية. وُلد من عذراء، وتجسّد، وكان شاهدًا لله من خلال تعاليمه ومعجزاته وشخصه. رُفض من أولئك الذين كان ينبغي أن يستقبلوه كمسيح موعود به، وصُلب. ولأنّه كان ابن الله، فقد قام من بين الأموات وصعد إلى الآب في السّماء حيث يملك عن يمين الله على ملكوته الروحي. اقرأ يوحنا 1: 1–18.

علَّم يسوع تلاميذه أن يصلّوا إلى الله مبتدئين بـ "ليتقدّس اسمُك" (متى 6: 9). تعترف هذه العبارة بمكانة الله وتجلب لأولئك الذين يتفوّهون بهذه الكلمات إحساسًا بالرهبة والاحترام عندما يدركون أهميّة ذلك. أن تكون غير مبالٍ بالله وبطرقه يعني مواجهة غضبه. لقد حذّر يسوعُ قائلاً: "وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ" (متى 10: 28). ونقرأ أيضًا: "مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ!" (عبرانيين 10: 31). في حين أنّ هذه الآية تقع في سياق دينونة الله على شعبه، فإنّ الآيتَين السابقتَين لها تُشيران إلى الدينونة على الكسلان وغير المؤمن: "فَإِنَّهُ إِنْ أَخْطَأْنَا بِاخْتِيَارِنَا بَعْدَمَا أَخَذْنَا مَعْرِفَةَ الْحَقِّ، لاَ تَبْقَى بَعْدُ ذَبِيحَةٌ عَنِ الْخَطَايَا، بَلْ قُبُولُ دَيْنُونَةٍ مُخِيفٌ، وَغَيْرَةُ نَارٍ عَتِيدَةٍ أَنْ تَأْكُلَ الْمُضَادِّينَ" (عبرانيين 10: 26–27).

ألوهية يسوع. ربّما أفضل مكان لرؤية تقاطع الذات الجسدية مع الذات الإلهية هو في بستان جثسيماني. كثيرًا ما انسحب يسوع من بين الجموع للصلاة (متى 14: 23؛ مرقس 6: 46؛ لوقا 6: 12؛ 9: 28؛ 11: 1). فقد كان يشعر بالحاجة إلى الاتكال على الله في أثناء تنفيذ رسالته. وفي مواجهة الاعتقال والمحاكمة والصلب، قضى يسوع فترة طويلة وهو يتشفّع أمام الآب على جبل الزيتون. وتمّ الكشف عن جوهر تلك

الصلاة بشكل كامل في إنجيل يوحنا، حيث يدرك يسوع قوّة الشرير في حياة التلاميذ. ولكن كما يذكر لوقا، كان يُصلّي في جهادٍ، "وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ" (لوقا 22: 44). يشير الحدث كلّه إلى دراما عظيمة. يسوع هو من الآب وقد أعلن الآبَ لتلاميذه. وهو يعلم أنّ القوة الشريرة نفسها التي تعمل في صلبه سوف تهاجم تلاميذه أيضًا. ويعرف مجدَ الله لأنه يقول: "أَيُّهَا الآبُ الْبَارُّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ، أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ، وَهؤُلاَءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يوحنا 17: 25–26).

تُبرز تجربةُ يسوع على الصليب سموَّ المناسبة. فبعد المعاناة الشديدة، اقتبس يسوع السطر الرئيسي من رثاء مزمور 22. فيبدأ بعبارة "إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي"، والقصد الواضح هو التعبير عن الإيمان بالآب والخضوع الكامل له. وسبب هذا الاستنتاج موجود في المزمور نفسه. يبدأ الرثاء عادةً، بحكم طبيعته، بمخاطبةٍ تليها شكوى، ثم التماسٍ وتعبيرٍ عن الثقة، وأخيرًا مديح. في بستان جثسيماني، صلّى يسوع قائلاً: "يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ" (لوقا 22: 42). وعلى الصليب، خاطبَ الله؛ فقد اعتراه شعورٌ غامرٌ، وهناك حتى أوجه تشابه بين ظرفه والظرف الذي عبّر عنه كاتب المزامير: "يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ." بالتأكيد، إنّ الكلمات المُعبَّر عنها على الصليب لا تتعارض مع ما عبّر عنه كاتب المزمور. ينتهي المزمور بالتشديد على الثقة بالله وتقديم التسبيح له. وإذا أخذنا كلمات يسوع على الصليب في سياقها الصحيح، فإنّها تُصبح إعلانًا للتكريس الكامل لا صرخةَ يأسٍ ناتجة من تخلّي الله عن ابنه. لقد تحقّق الانتصارُ على الصليب، ويقدّم انتصارُ يسوع على الشرّ يقين الخلاص لكلّ مَن يؤمن به.

موارد عبر الإنترنت

"ألوهية يسوع المسيح" بقلم ر. أ. توري، موارد مسيحية وروابط

"ملخّص شاهد العهد الجديد – ألوهية يسوع المسيح"، *Christian Thinktank*

التأمّل. في هذه المجموعة من التأمّلات، سوف تقرأ الشهادة الكتابيّة في ما يتعلّق بهوية يسوع والعلاقة بالمقدّس.

التأمل 1–6. ما هو الاستنتاج الذي يمكن استخلاصه حول هوية يسوع ودوره من يوحنا 1 والعبرانيين 1: 1–4؟

التأمل 1–7. يستحقّ يسوعُ المسيح الثناء كونه كلمةَ الله. وبصفته الحمل الذي غلب العالم، فهو جديرٌ بالمديح لما قام به من عمل الفداء. في المسيح، يجد الإنسان القداسة والحق في الدخول إلى محضر الله. ما هي الفكرة العامة في رؤيا 4 و5؟

لقد ركّز الجزء 2 على تأسيس العلاقة بين المقدس والله. ومع افتراض وجود هذه العلاقة، أصبحتَ جاهزًا للانتقال إلى الجزء الثالث من المرحلة الأولى في رحلتك. للمتابعة، يجب أن تفتح قلبكَ لاستكشاف مفهوم الروحانية وكيفية التعبير عنها.

الجزء الثالث: طبيعة الروحانية

الآن، بعد أن وضعنا معايير الروحانية، سندرس بشكلٍ أكثر تحديدًا جوهرَها وكيفيّةَ استيعابها، وسننظر إليها باعتبارها حالة وجود مستوحاة من الكتاب المقدس. لأهداف هذا المقرّر، لن نقدّم تعريفات أخرى. نحن نحدّد الموضوع لسببين: أولاً، إنّ النظر في مجال أوسع من شأنه أن يوسّع نطاق دراستنا، وثانيًا، إذا كان افتراضنا صحيحًا وكان الكتاب المقدس يقدّم المعلومات الأساسية عن الروحانية، فلا داعي لأن نتجاوز حدوده.

نحن لا ننكر أنّ هناك رؤى أخرى عن الروحانية يمكن استخلاصها من مصادر غير الكتاب المقدس، ولا نقول إنّ الديانات الأخرى غير المسيحية ليس لديها بعض الآراء السامية حول ما هو روحي وما هو غير روحي. لكن الجوهر هنا هو أنّ الكلمة المقدّسة هي حاسمة.

النقطة التي سيتم تطويرها في المقرر ليست ما إذا كان الخير والشر موجودين في العالم غير المادي. هذا الاستنتاج يتم التوصل إليه من خلال فهم ما تم الكشف عنه وما هو مكتوب في الكتاب المقدس. إنّما السؤال

المحوري هو: ماذا يجب أن يكون موقفُ المرء وعلاقته تجاه تلك الحقائق التي تتطلب استجابتنا، أي تجاه الله باعتباره تجسيدًا لكلّ ما هو خير وتجاه الشيطان باعتباره تجسيدًا لكلّ ما هو شرّ؟

كما ذكرنا سابقًا، تشير الروحانية إلى عالم "الروح". يتعلّق الجانب "الروحي" بعالم غير مادي أو غير مرئي، وعادةً ما يُلقى في عالم المقدّس أو المتديّن. ويتعلّق بالأشياء المقدسة وبالأمور المنفصلة عن الواقع الخارجي المحسوس.

تتطلب الرحلةُ نحو نهاية المرحلة الأولى بعض الافتراضات حول الروحانية. السؤال الرئيسي هو: هل الروحانية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالأشياء المقدسة بحيث لا يمكن أن توجد خارج هذا الإطار؟ تنطلق المرحلة مع افتراض أن الروحانية مرتبطة بالله ولا يمكن التعبير عنها إلا بالطرق التي تكرمه. إذا كنت ترغب في الاستمرار، تابع القراءة.

أ. اليقظة الروحية. نظرًا لطبيعتنا الجسدية، ينشغل الذهن بالأمور المتعلقة بالعالم المادي وبمسائل البقاء على قيد الحياة. فهو ينشغل بكيفية كسب الرزق وحماية الذات واختبار الملذّات الوقتيّة. والعقل هو أيضًا المكان الذي يستقرّ فيه وعيُ الإنسان وضميرُه. إنّه يشعر بالصواب والخطأ، ويفكّر في أفعال الخير والشر، ويتصوّر الحقيقة المطلقة، أي الحياة بعد الموت.

الإنسان الطبيعي. يُعرف هذا الإنسان الذي ينجذب نحو المغريات الجسديّة باسم "الإنسان الطبيعي". فهو ينشغل بملذات الجسد ويسعى لإشباع الرغبات البشرية الدنيئة. يُلاحَظ شيءٌ مختلف جوهريًا لدى الإنسان الذي ينجذب نحو الاهتمامات الروحية. يقارن بولس بين الإنسان الطبيعي والإنسان غير الطبيعي، مبيّنًا أنَّ الجسد والروح هما على النقيض بعضهما من بعض (1كورنثوس 2: 6–16). تأتي اليقظة الروحية من استجابة الإنسان الإيجابيّة "للمقدّس".

في حين أنّ اليقظة الروحية لها علاقة "بالمقدس"، فهي تعتمد أيضًا على وعي المرء بالسعي وراءها. سأل رجلٌ غنيٌّ يسوع ذات مرة قائلاً: "يا معلم، ما هو الشيء الصالح الذي يجب أن أفعله لأنال الحياة الأبدية؟" أجاب يسوع: "هناك واحدٌ فقط صالح. إذا كنت تريد أن تنال الحياة الأبدية، فأطِع الوصايا." عندما استفسر الرجل أكثر قائلاً إنه كان مجتهدًا في حفظ تلك الوصايا الأساسية من ناموس موسى، أوصاه يسوع أن يبيع أملاكه

ويعطي الفقراء ويتبعه. فخرج الشاب حزينًا لأنه كان يملك ثروة كبيرة. كشفت هذه الحادثة ثلاثة أمور حول ما يجب أن يكون موقفُ الإنسان تجاه الله الذي يجسّد الخير أو الصلاح. أوّلاً، يتوقّع الله ولاء الإنسان الكامل له. ثانيًا، يتطلّب الالتزام الروحي الكامل التجرد من كلّ ما يتعارض مع هذا الولاء. وثالثًا، الخلاص ممكنٌ بالفعل مع الله. اقرأ متى 19: 16–30 واكتب ملخّصًا عن الأمور الثلاثة التي تمّ كشفها في النصّ.

ب. العناصر الروحية. يشترك المسيحيون وغيرُ المسيحيين في صفاتٍ مثل الحب والتعاطف والثقة والشكر والاتكالية والتواضع والولاء. ويمكننا حقًّا أن نرى هذه الصفات المشتركة على أنّها "روحية". إنها تعكس قيمًا مستمدة من قدرات الإنسان الفطرية، وهي قيم تحمل صفات يمنحها الله. لا يتمثّل الخط الفاصل بين العلماني والمقدس في رفض المقدّس لأيّ من جوانب ميل الإنسان الفطري نحو الخير، بل إنّه يكمن في أساس وجوهر هذا الخير. في الواقع، هذا الأساس موجود، سواء أدركه الإنسان أم لا. فقد يُظهِر المرءُ لطفًا مثلاً، لكنه في الوقت نفسه ينكر الله الذي وضع فيه تلك القدرة. لذلك، وفقًا لتعريفنا، قد يكون الإنسان لطيفًا ولكن إذا لم يكن يعرف الله، فهو ليس "روحيًّا".

الاعتراف "بالمقدس". تأتي المرحلة الأولى في الروحانية بالاعتراف بوجود العنصر "المقدس". ولكنّ الروحانية هي أكثر من مجرد الاعتراف بأن الله قد منحنا القدرة على تمييز الخير. فهي تتضمّن استجابة ملائمة لله، تقديرًا لذاته ولعمله الأساسيّ في جعل الإنسان مقدّسًا.

إنَّ فكرة "المقدس" تتجاوز المشاعر الإنسانية المشتركة. لا تشكّل هذه المشاعر، سواء منفردة أو مجتمعة، التجربة الكاملة للعبادة.

الطقوس. قد ترتبط الروحانية بالطقوس، لكنّ الروحانية والطقوس ليستا مترادفتين. كلاهما ينتمي إلى مجال الدّين، وكلاهما معنيٌّ بالاعتراف بوجود الله وبعمله. قد تستخدم الروحانية، باعتبارها حالة أو عملية تعكس صورة الله، الطقوسَ للتعبير عن مشاعر العابِد. فالطقوس هي وسيلة يستخدمها الإنسان الروحي، وهي محدّدة من قبل الله ومذكورة في الكتاب المقدّس. وإلاّ، مهما كان الإنسان يشعر بالروحانية، فقد يقدّم عبادة من صنع الذات إذا كانت الطقوس التي يُمارسها تدفعُها الذات (كولوسي 2: 16–23).

الإيمان. تعترف العبادةُ بالاتّكال على الله، ويصاحب هذا شعورٌ بعدم الاستحقاق (انظر إشعياء 6) والإثم والعجز المطلق أمام الله. هذا النوع من الاتكال فريدٌ، ويتّضح في قصة إبراهيم الذي أدرك دونيّته عندما تضرع إلى الله في ما يتعلّق بسدوم: "إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى وَأَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ" (تكوين 18: 27). اعترف إبراهيم بتردّده، ولكنّ إحساسَه بالثقل الناتج من عدم استحقاقه أمام الله هو ما جعل تجربته فريدة، بصرف النظر عن المشاعر الإنسانية المشتركة.

إنّ عدم استحقاق الإنسان للمثول في حضرة الألوهية أو إحساسه بعدم قيمته في حضرة إلهٍ غامرٍ وعظيمٍ ينتج إحساسًا طاغيًا لدرجة أنّ المرء لا يعرف كيفي يمضي قدمًا. ينبع كلّ هذا من شخص الله الذي لا تكفي الكلمات للتعبير عنه، والذي يمكنك أن تدركه فقط في عقلك. وما يجعل العاطفة "روحيّة" هو أنّها تُشير إلى شخصٍ ينتمي إلى العالم غير المادّي، وهذا الشخص هو الله.

c. التعبير عن الروح الداخلية. للروحانية قشرة داخلية وأخرى خارجية. ما يكمن في داخل الإنسان هو الإنسان الروحي الحقيقي (راجع أمثال 23: 6–7). لهذا السبب يُحَثّ المؤمنون على التفكير في كلّ ما هو جليل وعادل وطاهر ومسرّ ومحبوب وصيته حسن (فيلبي 4: 8). وما يخرج ويظهر للعالم ما هو إلّا تعبير عن تلك الصفة الروحية الحقيقية التي تشكّل شخصيّة الإنسان.

هناك بعض الصفات الروحية التي من الأفضل الاحتفاظ بها في الداخل. تحدّث يسوع عن الصلاة والصدقة والصوم باعتبارها أمورًا يجب على المرء أن يفعلها بصدقٍ، ولكن ليس علنيًّا. لكنّ طبيعة الروحانية سوف تجعل قِيمَ الشخص المؤمن ظاهرةً للعيان. ويُعَبَّر عادةً عن الروحانية ظاهريًّا من خلال وسيلتين: إحداهما مباشرة والأخرى غير مباشرة.

في الواقع، الروحانية "تُكتسب ولا تُعلَّم". وما مِن مصطلحات مناسبة لوصف كيفيّة دخول الروحانية إلى قلب الإنسان. يمكن أن تنتقل المفاهيم الدينية إلى الأجيال المتعاقبة من طريق التعلّم الرسميّ وغير الرسميّ، أمّا المشاعر الروحيّة فلا يمكن إلّا أن توقَظ داخل الفرد. وعلى الرغم من الحاجة إلى تعليم الآخرين عن الله، يجب أن يكون هناك نوع من اليقظة الروحية داخل الفرد (انظر إرميا 31). قد تساعد الطقوسُ والرموز، ولكنّها ليست

بديلاً عن الروحانية الحقيقية ولا تضمن حدوثها. يجب أن تنشأ الروحانية من داخل الشخص ويجب أن يعتبرها ملكَه.

يعتمد التعبيرُ عن الروح الداخلية على المعرفة الصحيحة من أجل التمتّع بالبصيرة والنموّ. لا يمكن للمرء أن يفترض أنّ الظهور الكامل للصفات الروحية يأتي تلقائيًّا مع المعمودية وهبة الروح القدس. يجب "تنمية" هذه السمات الروحية بمساعدة روح الله، ويعني هذا أنه يجب معرفتها أولاً. تأتي معرفة ما هو روحي وما هو غير روحي من الوحي، أي من الكتاب المقدس، على الرغم من أنّ الإنسان يمكن أن يعبّر عن مشاعره الروحيّة بواسطة الفنّ والموسيقى.

الفن. يسمح الفنّ الإنساني للعقل البشري بخلق انطباعات يصعب التعبير عنها بشكلٍ كافٍ بالكلمات. الفن الشرقي بارعٌ بشكل خاص في التعبير غير اللفظي. فمن خلال استخدام الظلام والصمت والمساحة الفارغة، يسمح هذا الشكل الفني للرسّام بنقل فكرة التأمّل وملء اللوحة بمساحات خالية تخلق نوعًا من الفراغ الذي يُشير إلى العالم المادي.

الموسيقى. تحفّز الموسيقى المشاعر داخل الإنسان من دون الحاجة إلى كلمات ولكن يصعب تفسير هذه العواطف. عزف داود الموسيقى ليريح الملك شاول حتى تبتعد عنه الروح الشريرة (1صموئيل 16: 23)، وتنبأ يدوثون بالعود (1أخبار الأيام 25: 3)، وسبَّح كاتبُ المزمور الله بالعود (مزمور 33: 2؛ 43: 4).

مثل الفن، تتمتّع الموسيقى بالقدرة على إثارة مجموعة متنوعة من المشاعر داخل الإنسان تمكّنه من التعبير عن نفسه بطرق لا تستطيع الكلمات المجردة التعبير عنها. ويمكن للموسيقى أن توقظ داخل الإنسان أحاسيس لا يمكن وصفها. ويمكنها أن تثير مشاعر الغبطة والحزن، وأن تحفّزَ التأمّل والعزيمة. قد لا تُثير الموسيقى دائمًا التجربة الروحية، لكنّ المشاعر التي تنبع من الاستماع إليها، تجعل المرء يقارن بين هذه الأحاسيس والتجربة الروحيّة.

تأمّلوا في المزامير التي تستند إليها الترانيمُ. تتجاوز الترانيم مجرّد التعبير عن المشاعر. فقد يعكس محتواها الأحداث البشرية من منظور قداسة الله، وقد تعكس تجارب الإنسان في ضوء شخص الله وعمله. ومع أنّ

العبادة قد تتعلّق بالعواطف والتجارب البشرية، لأنّ هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن للإنسان من خلالها أن يختبر الروحانية، لكن يجب ألّا تتساوى مع المشاعر الإيجابيّة المرتبطة بالحياة الدنيوية.

تتجلّى الروحانيّة في السلوك والأخلاق والتصرفات، وتظهر من خلال الأماكن التي يذهب إليها المرء والعادات التي يُمارسها. وتتجلّى أيضًا في صياغة الصلوات والتعليقات في اجتماعات العبادة. ويتضّح هذا في محادثة يسوع مع نيقوديموس. قال يسوع: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ. اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. لاَ تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ. اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ." اقرأ يوحنا 3 واكتب تأمّلاتك عن الأصحاح.

فالإحساس الذي تثيره الموسيقى، ومذاق الطعام اللذيذ، وإثارة الشهوة الجنسيّة تُعَدّ من الأمور غير العقلانيّة بطبيعتها. في الواقع، إن الإفراط في تناول الطعام اللذيذ قد يتعارض مع ما يدركه المرء في عقله أنّه الأفضل لصحّته. وقد تدفع الشهوةُ الجنسية الإنسانَ إلى ما وراء حدود الأخلاق التي وضعها لنفسه، لا لأنه يستمع إلى عقله، بل لأنه يستمع إلى عواطفه. ولكن لا شيء من هذا يُعَدّ في حدّ ذاته أخلاقيًّا أو غير أخلاقي، أو روحيًّا أو غير روحي. إن ما يجعل الإفراط في الأكل انتهاكًا للمبادئ الروحية هو الانغماس المفرط ذاته الذي يُعدّ مسألةً تعتمد على الحكم الشخصيّ. وفي الرغبات الجنسية، يتصرّف الإنسان بما يتماشى مع العملية الطبيعية. فالجنس في إطار الزواج هو المكان المناسب للممارسة الجنسيّة، أمّا البعد غير الروحي فتحدّده طبيعة الاتحادات الجنسية غير المشروعة. اقرأ 1كورنثوس 6: 12– 20 حيث يُقال إنّ الزنا هو ضد المسيح، واكتب أفكارك حول هذا المقطع.

اكتملت الآن المرحلة الأولى من الرحلة (الوحدة 1). لقد وصلت إلى هذه المرحلة بتأكيدك أنّه من المعقول الإيمان بالعالم الروحي، الذي يشمل الله والشيطان؛ فبدون التفاعل العقلاني لا يملك الإنسان القدرة على اختبار الروحانية. علاوةً على ذلك، من المعقول أن نؤمن بأن الله قد أعلن عن نفسه للإنسان من خلال الكتاب المقدس وأن اللقاء مع "المقدس" ضروري لحدوث الروحانية.

أصبحتَ الآن جاهزًا للمرحلة الثانية (الوحدة 2). تشدّد المرحلة الثانية على النظر في "المقدس". لمواصلة رحلتك، يجب أن تكون على استعداد للتفكير في أن "المقدس" يجلب إحساسًا غامرًا من الرهبة والجلال والتمكين والشغف، ويجلب أيضًا إحساسًا بالغموض في ضوء طبيعة الله ومقاصده ووعوده، يمكن إمّا أن يجذب وإمّا أن ينفّر.

قبل المتابعة، يجب عليك إكمال امتحان الوحدة 1 (انظر أدناه للاطّلاع على التعليمات). إذا لم تكن قد قرأت كتاب جون لينوكس أو شاهدت محاضرته عبر الفيديو، يرجى القيام بذلك الآن قبل الخضوع للامتحان.

الامتحان

والآن بعد أن وصلت إلى نهاية الوحدة، يجب عليك مراجعة المادة استعدادًا للامتحان متعدّد الخيارات. وعندما تصبح جاهزًا، يمكنك فتح الامتحان من "قائمة المقرر".

الوحدة الثانية: الإحساس بالمقدَّس

لو حُصِرَ "المقدَّس" في المجال غير الماديّ، لاعتُبر كلُّ ما في المجال الماديّ "غير مقدَّسٍ" و"دَنِسًا". قد تبدو هذه طريقة مناسبة لوضع إطارٍ مفاهيميٍّ للاثنَيْن. ولكنَّ هذا لا يتطابق مع الواقع، إذ يحدث في العالَم المادِّي تداخلٌ مع عالَم الروح. وبما أنَّ العقل يدرك ويختبر كلّاً من غير المقدَّس والمقدَّس، فسيكون من الخطأ فصل المقدَّس عن مجال الخبرة الإنسانيَّة، ما لم تكن طبيعة المقدَّس نفسها تقتضي هذا الفصل. هذا لا يعني أنَّه لا فرق بين المادِّي وغير المادِّي، أو بين غير المقدَّس والمقدَّس، بل أنَّهما ليسا بالضرورة متعارضَيْن أو متنافيَيْن.

في أيَّام المسيحيَّة الأولى، كان الناس يجادلون حول ما إذا كان يمكن أن يكون يسوع إنسانًا كاملًا وإلهًا كاملًا في آنٍ واحدٍ. وبما أنَّه يصعب على التصنيفات البشريَّة أن تستوعب تداخل الطبيعتَيْن، نشأتْ نظريَّات تفسِّر كيف أمكن حدوث تجسُّد يسوع. فقد رأى بعض الناس أنَّ يسوع "بدا" في الظاهر إنسانًا، لكنَّه كان في الواقع إلهًا، فيما زعم آخرون أنَّ يسوع كان نصف إنسانٍ ونصف إلهٍ.

وهكذا استمرَّ الجدل. وعلى الرغم من أنَّ هذه الآراء لم تكن وحيًا إلهيًّا مُلزِمًا، فإنَّ المسيحيِّين في القرون الأولى استنتجوا عمومًا أنَّ يسوع كان إنسانًا كاملًا وإلهًا كاملًا. كانت تلك مجرَّد محاولة بشريَّة لعقلنةِ ظاهرةٍ تعجز التصنيفات البشريَّة عن تفسيرها. ممَّا يسلِّط الضوء على صعوبة تحليل الوجود بأسره بواسطة العقل البشري وحده.

الإيمان بالعالَم غير المادِّيّ لا يعني بالضرورة اختبار هذا العالَم. فباستطاعة المرء وضع تصوُّرٍ لما هو مقدَّس من دون أن يشترك فيه. وبما أنَّ الروحانيَّة تطالب بوجود صلةٍ بين عالَم الحواسّ وعالَم الروح، فلا بدَّ من استثارة الوعي الروحيّ، وانخراط الإنسان في نوعٍ من التفاعل مع المقدَّسات.

مهما كانت التفسيرات التي نقدّمها لفهم المقدَّس، ومهما كانت طريقة استجابة الإنسان لها، يجب أن يُفهم المقدَّس على خلفيَّة الكتاب المقدَّس. فلا يمكن أن تعمل الروحانيَّة بمحض إرادتها؛ وإلَّا لأصبحت مسألة مرتبطة بعبقريَّة البشر ووليدة محاولات الإنسان العقلانيَّة، ولأصبح لكلِّ إنسان تعريفه الخاصُّ للروحانيَّة الذي يتعارض مع تعريفات الآخرين. إذًا، لا بدَّ من وجود معيارٍ به نحكم به على كلٍّ من الروحانيَّة والمقدَّس. ونحن نعتبر أنَّ هذا المعيار هو الكتاب المقدَّس. إذا فَشِلَ الكتاب المقدَّس في هذا الاختبار، وقدَّم مفاهيم متضاربة وغير عقلانيَّة حول هذا الموضوع، عندئذٍ يجب أن نسأل أنفسنا: ما المعيار الأفضل إذًا؟

المرحلة الثانية من الرحلة تستكشف فكرة المقدَّس أو القداسة باعتبارها أساس الروحانيَّة الجوهريّ. فاللقاء مع المقدَّس يولِّد شعورًا بالدهشة والغموض والانبهار. فهلَّا استأنفنا دراستنا.

الوحدة الأولى: إحساسٌ غامرٌ

صحيح أنَّ الإيمان والرجاء والمحبَّة هي المكوِّنات الأساسيَّة للروحانيَّة، لكنَّ جوهر الاختبار الدينيّ (أي المقدَّس) يكمن في شيءٍ آخر غير الفهم العقليّ البحت. إذ لا بدَّ من أن يُغلَّف بإحساسات يستطيع الدماغ أن يحللها ويعالجها. لكنَّ هذه الإحساسات تنقل الإنسان إلى ما يتجاوز الخبرات اليوميَّة المعتادة. فالاختبار الروحيُّ يحيطكَ بإحساسٍ غامرٍ، ويضعكَ في حالة ذهنيَّة بعيدة كلَّ البعد عن الروتين والمألوف.

لا يشبه الإحساس بالمقدَّس فرحَ الحصول على شيءٍ ثمينٍ، ولا متعة الفوز بمباراة رياضيَّة، ولا عاطفة احتضان حبيب بعد غيابٍ طويلٍ.

ومن جهة أخرى، ليس الإحساس بالمقدَّس تجربة انفصال عن الجسد، بل اختبارٌ مفعمٌ بالرهبة، والدهشة، والقلق الداخلي العميق.

قد يضع العقل البشريُّ تصوُّرًا لفكرة المقدَّس، لكنَّها لا تكون نتاج العقل. فالمقدَّس موجود بذاته بمنأى عن وجود العقل، ويسبق كلَّ اختبارٍ بشريٍّ. إن كان العقل البشريُّ قادرًا على تصوُّر الحقائق المجرَّدة والمطلقة مثل الصلاح فهذا لا يعني أنَّ هذه الحقائق وليدة العقل؛ بل أنَّ العقل يتعرَّف فقط على ما هو موجود أصلًا.

إذا تمتَّع الإنسان بالعالَم الروحيّ على اعتبار أنَّه مواجهة مع الله، فإنَّه لا يصير غير عقلانيٍّ فحسب، بل ينفتح على جانبٍ مقدَّسٍ من الحياة. إذ إنَّه يعطي قيمةً لكيانات روحيَّة ليست ضمن روتينه اليوميّ المعتاد. وبهذا يصبح هو الشخص الوحيد المُطالِب بهذه الاختبارات.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل يغمرنا المقدَّس بإحساسٍ غامر بطرقٍ لا يستطيع الدنيوي وغير المقدَّس أن تغمرنا بها؟

فيما نستكمل دراستنا، من المهمّ أن نضع في اعتبارنا أنَّه لا يمكن أن يقوى أحد على إنكار الروحانيَّة لمجرَّد أنَّه يستحيل إثباتها علميًّا. ومع ذلك، لا يفتقد الإيمان إلى العقلانيَّة، ولا ينافي العقل؛ بل يجمع الإحساس والعقلانيَّة معًا. وكما أنَّ المشاعر موجودة ولا يمكن إثباتها علميًّا، كذلك فإنَّ العالَم الروحيَّ موجود ولا يمكن أن يلغيه إنكار وجوده.

أ. جانب الرهبة:

في دورة الحياة الطبيعيَّة، يختبر كلُّ إنسان الخوف. إذ يثير الخوف شعورًا بالرعب والرهبة والقلق ممَّا يعرِّض صحَّة الإنسان أو حياته للخطر. ويُثار الخوف عندما تتعرَّض الرغبة الفطريَّة في حفظ النفس وحمايتها من الأذى للتهديد. هذا الخوف يولّد إحساسًا بالضعف والهشاشة.

ونتيجة اختبارٍ مفعم بالخوف، يتفاعل الإنسان بإحدى الطرق الثلاث التالية:

1. قد يندفع إلى اليأس ويبتعد عن مصدر الخوف.

٢. أو قد يصبح غير عابئ بالمخاطر، ويستمرُّ بخوض المخاطر نفسها التي خاضها قبلاً.

٣ .أو قد يتعلَّم أن يهاب ما أثار خوفه.

في المجال الروحي، قد يحدث ردُّ فعلٍ مشابه عندما يواجه الإنسان الله.
(1) قد يدخل في حالة من الرعب ويظلُّ غير تائب.

(2) أو قد يصبح غير عابئ بحقيقة عدم استحقاقه الوقوف أمام الله.

(3) أو قد يستجيب لله بخشوعٍ والتزام.

مخافة الله

مصدر مخافة الله هو شخصه وصفاته. فعندما يدرك الإنسان سيادة الله، يكون ردُّ فعله الفوريُّ هو الخوف ممَّا قد يفعله الكائن ذو السيادة بإنسانٍ ضعيف وأقلَّ قوَّة. سبب هذا الذعر جزئيًّا هو عدم فهم طبيعة الله . فإذا كان الإنسان يظنُّ أنَّ الله يتصرَّف كأَسدٍ جائع في براري كينيا، فإنَّ الخوف يتحوَّل إلى رعب، لظنِّه أنَّ الله أناني ولا يبالي بمعاناة البشر. وهناك سبب آخر يجعل الإنسان يخاف الله، وهو معرفته بأنَّ الله قدوس، وأنَّه يسكب غضبه على كلِّ إثمٍ وظلمٍ.

تثير فكرة الله مشاعر مختلفة لدى المؤمن وغير المؤمن في المسائل الروحيَّة وغير الروحيَّة.
بالنسبة إلى المؤمن، فالله يقاوم الشرَّ، ويستطيع وحده أن يضبط هذا الشرَّ. أمَّا بالنسبة إلى غير المؤمن، ففكرة الله تذكِّره باللحظة المرعبة حين يدرك أنَّه مسؤول عن عدم إيمانه وأعماله الشرِّيرة.
وعلى الرغم من أنَّ مخافة الله التي تحلُّ على المؤمن تختلف نوعيًّا عن مخافة الله التي تحلُّ على غير المؤمن، إلَّا أنَّهما يشتركان معًا في الإحساس بالعجز الكامل وعدم الكفاية أمام حضرة القدير.

التأمُّل ٢-١

في العهد الجديد نقرأ عن مدينة كانت مهووسة جدًّا بحضورِ كلِّ ما هو إلهيٌّ، حتَّى إنَّها بالإضافة إلى الأصنام الكثيرة المنتشرة في أرجاء المدينة، كانت تنصب تمثالاً "لإلهٍ مجهولٍ". اقرأْ أعمال الرسل ١٧: ١٥-٣٤.
(١) ما الهدف من خطاب بولس؟
(٢) تأمَّلْ كيف كنتَ لتتفاعل لو كنتَ موجودًا هناك على تلّة المريخ (أريوس باغوس) تصغي إلى بولس فيما يتكلَّم.

غضب الله

غضب الله يثير القلق ولا يفهمه كلُّ مَنْ يعتقد أنَّ صلاح الله ومحبَّته تمتصَّان غيرته وغضبه. هؤلاء لا يسعهم إدراك أنَّ غضب

الله ينمُّ عن انتصارِ قداسته ودينونته على السلوك غير الأخلاقي. وهذا الجانب من طبيعة الله يُعدُّ جزءًا لا يتجزَّأ من جوهره، تمامًا مثل قداسته وصلاحه.

غالبًا ما نتحدَّث عن غضب الله عند وقوع تسونامي أو إعصار أو زلزال أو بركان أو عاصفة رعديَّة أو تفشِّي مرض خارج السيطرة. هذه كلُّها ظواهر طبيعيَّة. فالأشخاص الذين لا يهتمُّون كثيرًا بالله عادةً ما يستخدمون تعابير مثل "غضب الله" أو "قضاء الله". سواء أدرك الإنسان ذلك أم لم يدركه، فإنَّ معظم الناس يشعرون بوجود قوَّة خارقة ويستسلمون كلِّيًّا لله عند حلول "الكوارث الطبيعيَّة".
لكنَّ فكرة غضب الله تَرِدُ في الكتاب المقدَّس في سياقٍ مختلفٍ.
على سبيل المثال، كان بنو إسرائيل في القديم، الذين نظَّم العهد مع الله حياتهم، يفهمون غضب الله باعتباره ظواهر طبيعيَّة مرتبطة بعدم وجود القداسة.

الإحساس بالرهبة

إنَّ الإحساس الرعب خلال توقُّع مواجهة الله هو جانب واحد فقط من جوانب الاستجابة. إذ يُصاحبه أيضًا إحساسٌ بالرهبة الشديدة.
قد تكون الرهبة التي يشعر بها الإنسان في سعيه الروحي ساحقة من ناحية، ومريحة من ناحية أخرى. فالسلام مع الله هو فكرة جليلة؛ وقد يتحوَّل إلى واقعٍ مطمئنٍ. في الداخل، قد يشعر الإنسان بالانبهار أمام الله، لكنَّه أيضًا يقدِّر التسبيح كالقول: "قدُّوس، قدُّوس، قدُّوس". إنَّ الإحساس بالرهبة يتيح للإنسان أن يعيش في سلام مع الله ومع نفسه، إذ يستسلم لشعوره بعدم الاستحقاق وبالمسافة التي تفصله عن الله.

قليلة هي المصطلحات اللغويَّة البشريَّة المعبِّرة عن هذا الجانب من الرهبة.
ومن غير اللائق استخدام هذه المصطلحات القليلة لوصف البشر، لأنَّها ترفع الإنسان إلى مكانة يجب أن تكون محفوظة لله وحده. لذا يجب تجنُّب استخدام كلمات مثل: "الجليل"، "القادر على كلِّ شيء"، "السيِّد المطلق"، وعبارات مثل: "يا إلهي!" أو "ربَّاه!"، وألقاب دينيَّة مثل: "الموقَّر"، و"الأب"، و"قداسته"، مفضِّلين بالحري استخدام تعابير أكثر ملاءمة.
فإنَّه في منح الإنسان شرفًا لا يليق إلَّا بالله، استهانة بقداسة الله ورفع الإنسان إلى مكانة لا تناسبه. كذلك يجب أن يكفَّ الإنسان عن التنعُّم بامتيازات تخصُّ الله وحده —مثل إصدار الأحكام الروحيَّة.

ب. جلال الله

بعيدًا عن الإحساس بالرهبة الناتج عن شعورٍ غامرٍ، تُشعر الروحانيَّة الإنسان "بالجلال"، الذي يشير إلى إحساسٍ بالفخامة المبهرة المرتبطة بالملوكيَّة، كما عندما نشهد شيئًا مهيبًا، ومدهشًا، ورائعًا، وبديعًا، ومجيدًا. ومع ذلك، ما من كلمة من هذه الكلمات تصف بالقدر الكافي الجلال المرتبط بالمفهوم المتجذِّر في الروحانيَّة الحقيقيَّة. وبما أنَّ الله يسمو فوق كلِّ ما يمكن للإنسان إدراكه، تقف اللغة البشريَّة عاجزةً عن تحديد مفهوم "الروحانيَّة" الكامل. ومع ذلك، يلمح وعي الإنسان الألوهيَّة والفخامة الفريدة التي يوحي بها معنى الجلال. في هذا الإطار، يبدأ الإنسان بإدراك أنَّ للحياة أبعادًا أعمق من تلك التي تراها العين، وأنَّه وراء الدنيويِّ وغير المقدَّس تكمن عناصر أبديَّة لا تفنى.

على المستوى الحسِّي، يدرك الإنسان الروعة والعظمة في عجائب الطبيعة وإنجازات البشر. فيندهش عند مشاهدة غروب الشمس، والوديان العميقة، والأنهار الهادرة، والعواصف الرعديَّة؛ وتبهره الأهرامات، وناطحات السحاب، وتقنيَّات عصر الفضاء. تشهد عجائب الطبيعة على قوَّة الله، بينما تشهد المباني العظيمة على إنجازات الإنسان، وكلُّها تشير بطريقتها الخاصَّة إلى جلال الله، لكنَّها لا تقترب بأيِّ حالٍ من عظمة الله الأبديَّة التي تدفع المؤمن إلى الإكرام والتسبيح والعبادة. وحده الوعي بطبيعة الله المهيبة يتيح للإنسان أن يبدأ بفهم جلال كينونته.

ما يبلغه الإنسان من إدراك لجلال الله يتيح له إمكانيَّة معرفة الله نفسه. ومن خلال "الولادة الجديدة"، التي يمنحها الله، يستطيع الإنسان أن ينال رجاءً حيًّا بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات. ينتظر المسيحي ميراثًا أبديًا لا يفنى ولا يتدنَّس ولا يضمحلّ. وبهذا الرجاء، يختبر الإنسان فرحًا لا يُنطَق به ومجيدًا عندما ينال غاية إيمانه (1 بطرس 1: 3–12). وهنا يدرك أنَّ الجسد يذبل كما يذبل الزهر والعشب (1 بطرس 1: 24–25). فجلال الله يوفِّر البيئة المناسبة لنموِّ الروحانيَّة.

مصادر عبر الإنترنت:

"Hallelujah Chorus" video, You Tube
"The Majesty of God" video, You Tube

- فيديو "هاللويا كورَس"، يوتيوب
- فيديو "جلال الله"، يوتيوب

ج. جانب التمكين والشغف

بالإضافة إلى الإحساس بالهيبة والعظمة الناتج عن الاختبار المقدَّس، هناك عنصرٌ من الحيويَّة والشغف، إذ يشعر الإنسان بالقوَّة والقدرة على عمل مشيئة الله، ويدفعه شعور بالضرورة الملحَّة لتنفيذ إرادته. ومع ذلك، تبقى حقيقة دينونة الله للكسل والإهمال والخطيَّة المتعمَّدة. لكنَّ الوعي بأنَّ الإنسان ابنٌ أو ابنة روحيَّة لله يستبدل الخوف والرعب بالرهبة.

إنَّ الروحانيَّة تحمل الإنسان إلى ما هو أبعد من مجرَّد الإيمان النظريِّ بالله. فهي غير محصورة بنشاطٍ ذهنيٍّ، بل تدفع الإنسان إلى العمل. تنقل الروحانيَّة الشخص من موقف المفكِّر إلى موقف العدَّاء. فالأوَّل مفتون بقوَّة الله المخلِّصة ومندفع إلى توجيه جهوده نحو القضايا الروحيَّة. فعلى سبيل المثال، قد يدرس الإنسان المفكِّر بجدٍّ ولفترات طويلة ليكوِّن رؤية أكمل لطبيعة الله وصفاته، ومع ذلك يظلُّ شخصًا غير روحيٍّ. لا بدَّ من أن يشعر في أعماق نفسه بارتباطٍ حقيقيٍّ بالله، وأن يرافق هذا الشعور فيضٌ من المشاعر. لا حاجة إلى إثبات هذه المشاعر بطريقة استثنائيَّة، إذ سيتَّضح للآخرين أنَّ هذا الشخص حيٌّ روحيًا.

من شأن هذا الجانب من التمكين والشغف الكامن في الروحانيَّة الأصيلة أن يصف بدقَّة الفرق بين مسيحيِّي الجيل الثاني ومسيحيِّي الجيل الأوَّل. فمؤمنو الجيل الأوَّل في القرن الأوَّل ميلادي كان يدفعهم شغف عظيم لنقل قصَّة يسوع إلى أولئك الذين لم يسمعوا بها. فرجالٌ مثل الرسول بولس كرَّسوا حياتهم لهذا الهدف، ولكنَّهم لم يحتفظوا جميعًا بحماستهم.

فقد فَتُرَ تلاميذ لاودكية (رؤيا 3: 14–22)، وفَقَدَ مؤمنو أفسس محبَّتهم الأولى (رؤيا 2: 1–7). لذلك كُتبت رسائل عدَّة لتشجيع المسيحيِّين على أن يظلُّوا أمناء وحارِّين روحيًّا.

الوحدة الثانية: الإحساس بالغموض

قد "نلتقي" بالله في العالَم المادِّيّ عبر جمال الطبيعة أو ويلاتها، ولكنَّنا نجد النظرة الأعمق في اللقاء الروحي. لا نشير هنا إلى ما يُعرف عامَّةً بالصوفيَّة، بل إلى لقاء غامض لا يُعبَّر عنه. فاللقاء مع الله ليس اختبارًا من عالمٍ آخر، ومع ذلك فإنَّه غير قابل للتفسير تمامًا.

عند تناول اللقاء مع العالَم الروحيّ غير القابل للتفسير، يجب أن نبدأ بالله وليس بالإنسان. فالبدء بالإنسان يعني الإقرار بأنَّ العقل البشريَّ قادر وحده على أن يجد الله، وأنَّ معرفة العالَم غير المنظور لا تُدرَك سوى بالعقل. أمَّا البدء بالله، فهو الاعتراف بأنَّنا نتعامل مع مجمل الكون وليس مع الجزء المخلوق منه فقط. وهنا نواجه المجهول —الذي لا يمكن قياسه بقوَّة العقل. ومع أنَّه لا يمكن تحديد الله نفسه بمفردات البشر أو تصنيفاتهم الفكريَّة، فقد ينكشف بعض الغموض المحيط بالله أمام الإنسان إذا تأمَّل هذا الأخير في مقاصده ووعوده كما أعلنها الكتاب المقدَّس.

وقبل مواصلة الحديث عن الروحانيَّة، لا بدَّ من التوقُّف قليلاً لوضع بعض الافتراضات الأساسيَّة. هذه الافتراضات حيويَّة ومهمَّة جدًّا في مسار البحث: فإمَّا أن يوجد إله وإمَّا ألَّا يوجد؛ إمَّا أن يكون الله قابلاً لأن يعرفه الإنسان وإمَّا ألَّا يكون؛ إمَّا أن يكون الله هو الخالق وإمَّا ألَّا يكون؛ إمَّا أن يكون الله مستقلّاً عن الإنسان وإمَّا ألَّا يكون؛ إمَّا أن يكون الله مهتمًّا بخليقته وإمَّا ألَّا يكون؛ إمَّا أن يتدخَّل الله في خليقته وإمَّا ألَّا يتدخَّل؛ إمَّا أن يكون لله قصد من وجود الكون وإمَّا ألَّا يكون؛ إمَّا أن يكون الله أقوى من الشيطان وإمَّا ألَّا يكون.
إذا أقررنا بالجانب الإيجابيّ لعبارات التخيير السابقة، يكون لدينا أساس لمتابعة البحث في موضوع الروحانيَّة. أمَّا إذا تبنَّينا الجانب السلبيَّ، فإنَّنا نختزل البحث إلى مجرَّد تصنيفات عقليَّة بشريَّة.
يحمل المقدَّس في جوهره إحساسًا بالغموض.

أ. "الآخر بالكامل"

خلال العقود الأخيرة، استُخدم مصطلح "الآخر بالكامل" لوصف الله. فالله يفوق قدرتنا على فهمه فهمًا تامًّا، لأنَّنا أسرى الكون المادِّي. وبوصفه "آخر بالكامل"، فإنَّ الله هو ذلك الآخر بالكامل المختلف عن الذي نعرفه، أو عن الذي نستطيع أن نختبره

اختبارًا كاملاً؛ إنَّه مختلف اختلافًا فريدًا عن البشر؛ وهو ليس مختلفًا فقط، بل متفوّق جوهريًّا، لدرجة أنَّ الإنسان لا يسعه إلَّا أن ينهار ويذبل في حضرته.

تثير فكرة "الآخر بالكامل" مشاعر وأحاسيس في الوعي البشريّ، حتَّى لدى الشخص غير المؤمن. فجميعنا نشعر بالرهبة والغموض عندما نواجه شيئًا جديدًا وغير مألوف، ونتساءل: ما هو؟ ومن أين أتى؟ وماذا يعني؟
إنَّما في سياق الروحانيَّة، تعجز اللغة البشريَّة عن إنصاف الله ووصفه حقَّ الوصف. فالله متعالٍ، غير ماديٍّ، ولا يمكن إلَّا محاولة مقارنته جزئيًّا ببعض الصفات البشريَّة المألوفة. في الواقع، يبدو الله في تناقضٍ واضحٍ مع المادِّي بقدر ما يبدو مشابهًا له. والنتيجة بالنسبة إلى الإنسان هي الدهشة التامَّة.

يتصوَّر العقل البشريُّ فكرة المقدَّس كما يعرِّفُها شخص الله، وتتفاعل المشاعر معها.
ليست الروحانيَّة مجرَّد تدريب ذهني، وإنْ كانت لا تنافي العقل. ومع ذلك، فإنَّه لا يمكن فهم اختبارات الروح فهمًا تامًّا، كما لا يمكن التعبير عنها بالكلمات.
فالإنسان غير محدود بحدود العقل والمنطق. فكما أنَّ المعرفة والفهم متميِّزان في العالَم الماديّ، كذلك هما في العالَم الروحيّ.

يفتح لنا الكتاب المقدَّس بعض النوافذ التي نستطيع عبرها أن نلقي نظرة خاطفة على القدير. وفي صفحاته، نشعر بالسرِّ المعلَن. وقد أشار الرسول بولس إلى عمل الله بوصفه "سرًّا" — سرًا قد أُعلن الآن (أفسس ٣: ٢-٦). كما تحدَّث عن سلام الله الذي يفوق كلَّ عقل (فيلبِّي ٤: ٧).

ب. مقاصد الله

من المنطقيّ أن نفكِّر في الله باعتباره كائنًا ذا قصدٍ. فكما أنَّ الخَلْق لم يحدث صدفةً، كذلك فإنَّ مصير ذلك الخلق محكوم بقصدٍ إلهيٍّ. لا يعني هذا أنَّ كلَّ شيء محدَّد سلفًا، بل أنَّ اكتمال كلِّ شيء في الكونَيْن المادِّي والميتافيزيقي سيتمُّ وفقًا لمشيئة الله. وإلَّا لكانَ الله إمَّا غير متسلِّط على كلِّ شيء، وإمَّا غير مبالٍ بما خَلَقَ.
وفي كلتا الحالتَيْن، سوف يندفع الكون بلا هدف نحو نهايةٍ مجهولة. وعندما نستبعد الله من المعادلة، لا يبقى لنا سوى الصدفة، حيث تسود اللاإدراكية. وإذا كانت اللاإدراكيَّة هي المسؤولة عن وجود الكون، فسيكون من السخف أن نستخدم الذكاء البشريّ لمحاولة فهم الكون.

مقاصد الله تسبق وجود الكون المادِّي. ويمكننا أن نرى بعض هذه المقاصد في النظام الذي أبدعه. فالبشر، والنباتات، والحيوانات، والطيور، وسائر الكائنات، تعيش على الأرض وفق قصد الله. والأرض تدور حول محورها وفق مشيئة الله. وتتعاقب الفصول تماشيًا مع إرادته.
لكن لكي نكتشف مقاصده الأبديَّة المتعلِّقة بحالة الإنسان الروحيَّة، لا بدَّ من الرجوع إلى الوحي الإلهيّ.

ويقدِّم الرسول بولس هذا الأمر بوضوحٍ شديدٍ في رسالته إلى أهل أفسس ١:٤: " كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ." وبذلك، يتبيَّن أنَّ قصد الله هو أن يعرفه الإنسان من خلال علاقة روحيَّة قائمة على القداسة. فالله

يعمل في الكون ليضمن تحقيق مشيئته النهائيَّة. وباعتباره إلهًا ذا قصدٍ، فإنَّ الخالق يحفظ الكون، ويضع التدابير لتحقيق مقاصده، وبخاصَّة حين يعجز الإنسان أو أيُّ مخلوق آخر عن تحقيقها بنفسه.

التأمُّل 2-2

قبل المتابعة، اقرأْ عبرانيّين ١:١١ – ٤:١٢ وتأمَّلْ في هذه الفقرة من حيث علاقتها بمقاصد الله.

ما الموضوع الرئيس في هذه الفقرة؟

ج. وعود الله

لقد كُشفت مقاصد الله للإنسان في الكتاب المقدَّس. ففي نصوص الوحي، نسمع عن الوعود التي قطعها الله للبشريَّة. فقوس قزح، وفق ما جاء في الكتاب المقدَّس، هو علامة الله في السماوات بأنْ "لا تَكُون أَيْضًا الْمِيَاهُ طُوفَانًا لِتُهْلِكَ كُلَّ ذِي جَسَدٍ" (تكوين ٩: ٨–١٦). ووعد الله إبراهيم قائلاً: "وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ" (تكوين ١٢: ٣). وقد ضمن الله بنفسه هذه الوعود وغيرها، وأقسم بذاته أو بقداسته على مصداقيَّتها وأمانتها (راجعْ عاموس ٤: ٢؛ أعمال الرسل ٧: ١٧).

تشهد هذه النصوص على أمانة أعلى سلطة في الكون.

أن تراقب شروق الشمس وغروبها يومًا بعد يوم، وتستنتج أنَّ هذا الدوران سيستمرُّ إلى الأبد، ما هو إلَّا رصد للطبيعة، وليس "وعدًا". أما وعود الله فهي مُعلنة. ولكن، كيف أُعلنت؟ ولمَنْ؟ ومتى؟ يشهد الكتاب المقدَّس قائلاً:

"اللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ – الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ" (عبرانيّين ١:١–٢).

وقد تحدَّث بولس عن حكمة سماويَّة كانت مخفيَّة ومكتومة "الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ – لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ." ثمَّ اقتبس من إشعياء ٦٤: ٤ قائلاً: "مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ". ويضيف: "فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ" (١ كورنثوس ٢: ٦–١٠).

يمكننا أن نستنتج من هذه النصوص أنَّ الله لم يتركنا بلا رجاء أو بلا يقين. فكيف لنا أن نعرف ما إذا كان مسارٌ معيَّن يقود إلى النصرة؟ وعلامَ يمكن أن نؤسِّس قناعاتنا؟ كلمة الإنسان غالبًا ما تكون غير موثوقة، لأنَّه ينسى الماضي ولا يعرف المستقبل.

وحتَّى لو أمكنه معرفة المستقبل، فإنَّه لا يملك القدرة على التحكُّم به. ولكن بالاعتراف بحضور الله وسيادته، نستطيع أن ننمّي الإيمان ونمتلك اليقين.

الوحدة الثالثة: عنصر الانبهار

نحن البشر محاطون بعالَمٍ مادِّيٍّ. ونستهلك قدرًا كبيرًا من طاقتنا في سبيل البقاء على قيد الحياة، حيث تستنفد معظم وقتنا في أنشطة مثل الأكل، والنوم، والعمل، واللهو. وهذا الانغماس في مشاغل العالَم الدنيوي تجعل الإنسان غافلًا عن السموِّ الروحيّ. نجد الأمان هنا في الوعي وأداء هذه الأنشطة وفق بوصلة أخلاقيَّة.

يجد بعض الناس متعة كبيرة في عملهم أو لهوهم، فتدفعهم هذه المتعة إلى العودة مرارًا وتكرارًا إلى هذه الخبرات المُسِرَّة. ويتَّضح الأمر أكثر مع تلك المتع والملذَّات العابرة التي تؤدِّي إلى الإدمان. بالنسبة إلى هؤلاء الأشخاص، قد لا يستهويهم المقدَّس إمَّا لأنَّه لم يُستكشف بعد، وإمَّا لأنَّه يبدو غامضًا ومعقَّدًا، أو ببساطة لأنَّهم فضَّلوا الدنيوي على المقدَّس.

هناك فرق بين الاعتراف بوجود عالَم روحيٍّ، وبين الاستجابة لهذا العالَم الروحي بالمخافة أو الرهبة، وبين قبول الروحي بالإيمان واعتناقه.
فمن جهة، يستطيع الإنسان أن يتجاهل العالَم الروحيَّ؛ ومن جهة أخرى، لا يستطيع أن يتجاهله، لأنَّه في النهاية مسؤول عن أفعاله الشخصيَّة.

لو أدرك الإنسان أهمِّيَّة العالَم الفائق للطبيعة، لانبهر به، بسبب الحرِّيَّة التي يقدّمها— الحرِّيَّة من ذنب الخطيَّة، والحرِّيَّة من أوزار الطمع والحسد والأنانيَّة، والحرِّيَّة من الشعور بالحاجة إلى الانتقام ومبادلة الشرِّ بالشرِّ.
بمعنى آخر، يصبح المقدَّس جذَّابًا، لأنَّه يوفِّر إطارًا يتيح للإنسان العيش في العالَم المادِّي من دون أن يُستعبَد له.
كما يمنحه وسيلة أكثر شرعيَّة للتعامل مع الأنشطة الحياتيَّة الأساسيَّة ومع الأشخاص الذين يجب علينا التعامل معهم.
ويملأ حياة الإنسان بمعنى أعمق وقصد أسمى.

نتابع إذن فكرة أنَّ المقدَّس هو قوَّة حيَّة وعاملة تقدِّم مزايا لا يمكن تخيُّلها.

أ. الجذب والنفور

صحيح أنَّ مفهوم المقدَّس يجتذب بعض الناس، لكنَّه ينفِّر بعضهم الآخر.
بالنسبة إلى الأشخاص الروحيِّين، يبدو المقدَّس جذَّابًا ومبهرًا، إذ ينطوي على إمكانيَّة معرفة الله.
فالساعي إلى معرفة الحقِّ ينجذب نحو المقدَّس، لأنَّه يجد فيه المعنى والشبع والعزاء والصلاح والخلاص والحرِّيَّة.
أمَّا الإنسان الطبيعي، فينفر منه، إذ يرى في المقدَّس تهديدًا لمسرَّاته وملذَّاته الشخصيَّة. ويميل إلى التمسُّك بعدم الإيمان والإنكار. فعند مواجهة المقدَّس، لا يمكن أن يبقى الإنسان حياديًّا.

يستحوذ غموض المقدَّس على انتباه الإنسان، ليس لكونه قوّة لا تُقاوم، بل لكونه بركة محبوبة وجاذبة تبعث على الاتِّضاع والخضوع.

وفي هذا الفضاء الروحيّ، يدرك الإنسان أنَّ نقص الإيمان والرجاء والمحبَّة فينا يُكمَّل في العالَم الروحيّ.

وهنا، لا تُحدَّد هذه الفضائل وفقًا لمعايير المجتمع، ولا يُترك الإنسان ليفعل ما يراه مستقيمًا في عينَيْه، بل إنَّ هذه الفضائل جزء جوهريٌّ وأساسيّ من طبيعة الله، وتحدِّد معايير السلوك في كلٍّ من العالَم المادِّي والروحيّ.

في الواقع، مفهوم الإنسان عن الإله الغيور الذي يغضب ما هو إلَّا جزء من الصورة الكاملة عن الله.

وكذلك، فإنَّ التصوُّر الكامل لمحبَّة الله ونعمته ورحمته يفوق حدود فهم الإنسان وقدرته على التقدير.

فالترنيم، والحزن، والصلاة الحارَّة، وهتاف التمجيد، هذه كلُّها وسائل لوصول الإنسان إلى الله والتعبير عن أفضل ما لديه.

وهذا أقرب ما يستطيع الإنسان أن يختبره على الأرض من الجانب السماوي الروحي.

يتشجَّع الإنسان على التمسُّك بالروحيّ عندما يلاحظه في حياة الآخرين.

فكما أنَّ الإنسان ينجرف إلى الشرِّ إذا خالط أشرارًا سيِّئي النيَّة، كذلك فإنَّه يتشجَّع لعمل الخير إذا لاحظه في حياة أشخاص روحيِّين.

ويمكن أيضًا أن يدفع تهديد الدينونة الإنسان نحو الروحانيَّة.

فخوف الإنسان من الدينونة نابع من إدراكه خطورة الحالة التي يواجهها غير المؤمن (أعمال الرسل ٢: ٣٧؛ ١٧: ٢٩–٣١).

ولكن عندما يُستبدَل الرعب بإحساسٍ بالجلال عبر الإيمان والمعموديَّة، تتغلَّب محبَّة المقدَّس على محبَّة الدنيويّ وغير المقدَّس.

التأمُّل 2–3

في لحظات النشوة الروحيَّة، يجد الإنسان نفسه منجذبًا نحو القداسة. فيدعم التفكير الواعي مشاعره. أمَّا الإنسان غير الروحيّ، فلا يسعه تقدير التدريبات الروحيَّة للنفس. فقد ترى عيناه الآخرين ينخرطون في العبادة، وقد تسمع أذناه ترانيمهم، لكنَّه لا يدرك معنى هذه الأنشطة وأهمِّيَّتها. فالعبادة منفِّرة لطبيعته، وهو لا يقدِّر قصَّة الفداء المسيحيَّة. بينما يجد الإنسان الروحيُّ أنَّ العالَم الطبيعي فارغ، ومقزِّز، ومثير للشفقة. وبما أنَّ الإنسان الطبيعيَّ يفتقر إلى البصيرة الروحيَّة، فإنَّه يرى المقدَّسات بعيونٍ دنيويَّة. تأمَّلْ مَثَل الزارع الذي يبيِّنُ استجابات الناس المختلفة للإنجيل (متَّى ١٣: ١–٢٣).

صِفْ تلك الاستجابات المختلفة.

التأمُّل 2–4

يُجتذب الإنسان الروحيُّ إلى الله لا سيَّما خلال الخلوة الشخصيَّة والتأمُّل والتفكير العميق، حيث يخلو ذهنه من المشاغل الدنيويَّة. كذلك في خدمات العبادة العامَّة، ينجذب الإنسان الروحيُّ إلى مرافقة أشخاص لهم الفكر نفسه. يتجلَّى هذا بشكلٍ أعمق في أوقات الاضطهاد. ففي أثناء اجتماعِ المؤمنين عقب احتجاز بطرس ويوحنَّا وتهديدهما ثمَّ إطلاق سراحهما، "رَفَعُوا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ صَوْتًا إِلَى اللهِ" إذ أدركوا سيادة الله في الخلق والفداء. وكانت طلبتهم: "وَالآنَ يَا رَبُّ انْظُرْ إِلَى تَهْدِيدَاتِهِمْ وَامْنَحْ

عَبِيدَكَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِكَلاَمِكَ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ" (أعمال الرسل ٤: ٢٣-٣١).
لا تحمل كلُّ مناسبة مثل هذا الطابع الواضح، لكن تبقى الفكرة الأساسيَّة لما ينبغي أن يحدث عندما يجتمع الناس. فالشعور بأنَّنا قد افتُدينا وأصبحنا شركاء مع الله في عمله يطرد الخوف من الناس، ويعزِّز قناعتنا بأنَّ عمل الله يجب أن يستمرَّ. الاجتماع هو البوتقة التي يتمُّ فيها ذلك.
اكتبْ أفكارَكَ حول ما ينبغي أن يحدث عندما يجتمع الناس.

ب. تغيير الولاء

تستخدم الروحانيَّة المشاعر نفسها التي لدى الإنسان غير الروحيّ، لكنَّ الفرق يكمن في الحافز الذي يحرِّك هذه المشاعر. فالإنسان الطبيعيُّ يحبُّ بسبب داوفع نابعة من طبيعته. فعلى سبيل المثال، حبُّ الأمِّ لطفلها هو حبٌّ فطريٌّ؛ فهي تطعمه، وتلبسه، وتعلِّمه، وتحميه. وتبكي عليه في أوقات الشدَّة، وتتألَّم لألمه عند إصابته، وتؤدِّبه لتربّيه. وعادةً ما يكون حبُّها غير مشروط؛ فهي تحبُّ طفلها في أثناء تكوُّنه، وعند ولادته، وفي طفولته، وحتَّى في سنِّ الرشد. ولا شيء يمكن أن يفصل عاطفتها عن لحمها ودمها.

صحيح أنَّ القدرة على الحبِّ قد تكون فطريَّة، لكن يمكن أن يختار الناس أن يحبُّوا حبًّا مشروطًا أو أن يكرهوا. وقد ينبع الحبُّ المشروط من شعورٍ بالعار أو الخزي. فعلى سبيل المثال، قد يعتنق الابن ديانة أخرى، فيشعر الوالدان بالعار ويتبرَّآن منه. أو قد يتزوَّج الابن بشخص لا توافق عليه العائلة، فيحرمونه من الميراث. ومثال آخر، قد يحترم الموظَّف مديره ويُظهر له الاحترام والتقدير طالما أنَّ المدير يفضِّله على باقي الموظَّفين ويمنحه زيادات دوريَّة، ولكن بمجرَّد أن يفقد عمله، ينقلب على مديره ويسعى إلى إيذائه.

وقد يختار بعض الناس ببساطة أن يتبنُّوا موقف كرهٍ، وهو غالبًا امتداد للحبِّ المشروط. أن تحبَّ مَنْ يحبُّونكَ وتكره من يكرهونك هو علامة على حياة دونيَّة. إنَّه مظهر من مظاهر وجود قلبٍ شرّيرٍ، ويشير إلى الأنانيَّة ويؤدِّي إلى الدمار (راجعْ متى ٥: ٣٨-٤٨).

الطريق الروحيُّ هو ذاك الذي فيه تُفسح المصالح الشخصيَّة المجال لمصالح الآخرين — للخير الأسمى. هذا الميل ينبع من الله، الذي هو محبَّة. فالله أحبَّنا حتَّى ونحن خطاة. هذا لا يعني أنَّه يوافق على شرورنا، بل أنَّه يهتمُّ لأمرنا، وقد عبَّر عن ذلك بأنَّه بذل ابنه ليموت على الصليب لفداء البشر. عندما ينجذب الإنسان إلى هذا الابن، ويجد في عمل الله الأسمى مبرّرًا للحبِّ، يكون قد وجد الروحانيَّة الحقيقيَّة. أمَّا طالما أنَّ الإنسان باقٍ في حالته الطبيعيَّة، فهو محروم من الطريق الأسمى الذي يقود إلى الغفران والحرّيَّة.

لا تؤيِّد الروحانيَّة فكرة أنَّ الإنسان الروحيَّ قد تغيَّر فكريًّا أو أنَّ حواسَّه قد تحوَّلت بطريقة ما. بل يكمن الفرق في تغيُّر ولائه من الذات إلى الله، ممَّا أحدث تغييرًا في شخصه. الفرق الجوهريُّ يتمثَّل في التحوُّل في الشخصيَّة الذي يتبع تغيير الولاء. ويظهر هذا الاختلاف في أفكاره وكلامه وسلوكه وأسلوبه ونشاطه في العبادة. إذ قد أصبحت لديه الآن علاقة مع الله.

يتصرَّف الإنسان بكامل إرادته الحرَّة، بما يليق بمقامه كونه ابن لله. وإذ يدركه خطيَّته أمام الله، وعجزه عن تطهير نفسه من ذنب الخطيَّة، يتحرَّك الإنسان نحو الله، مستجيبًا لدعوته إلى الغفران. ولا يمكنه أن يجد الغفران إلَّا بهذه الطريقة.

ج. كيف ينجذب الإنسان إلى المقدَّس؟

الإجابة الكاملة على هذا السؤال تتجاوز حدود فهمنا. ومع ذلك، هناك مقطع مثير للاهتمام في إنجيل يوحنا ٦: ٤٤، حيث قال يسوع: "لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ".
إذا كان المقطع يشير إلى شيء، فهو أنَّ الإنسان لا يجد الروحانيَّة بشروطه الخاصَّة. وفي سياق الآية، النقطة المحدَّدة هي أنَّ الخلاص يأتي بمبادرة من الله، وأنَّ يسوع هو الوسيلة التي بها يجتذب الله الناس إلى حياة الفداء. وقد جاء هذا التصريح ردًّا على مقاومة غير المؤمنين ليسوع.

طُرِحَت عدَّة مقاربات لمسألة كيف ينجذب الإنسان إلى المقدَّس. هناك فكرة قديمة تفيد بأنَّ الله قد سبق فعيَّن، قبل الخلق، مَنْ سيخلص ومن سيُدان في الجحيم.
وقد حاول البعض الدفاع عن الله بالقول جميع البشر يستحقُّون الجحيم، وكلُّ ما فعله الله هو أنَّه اختار بعضهم للمضي إلى السماء. فيما يرى آخرون أنَّ مصير جميع البشر اعتباطيٌّ. كلا الموقفَيْن يطرح معضلة فيما يتعلَّق بالله، إذ يظهرانه بمظهر الاعتباطيَّة ويقلِّلان من صفاته في نظر الإنسان.

أمَّا العهد الجديد، فيكتفي بتأكيد سيادة الله. ويعلن أنَّ محبَّته تشمل جميع الناس، ويحمِّل البشر مسؤوليَّة الاستجابة لعمل الله الفدائي في المسيح. ومع ذلك، يميل الفِكر البشريُّ إلى محاولة تفسير التفاصيل وتجاوز ما يقوله نصُّ الكتاب المقدَّس. وعند القيام بذلك، غالبًا ما يُهمَل جوهر الفكر الكتابيّ أو يشوَّه.

موضوع التساؤل ليس سيادة الله، بل أعمال الله. هل يجتذب الله الذين يستجيبون بالإيمان، أم الذين يقاومونه؟ هل سبق فعيَّن أفرادًا بمعزل عن إيمانهم، أم أنَّه يخلِّص المتبرِّرون بالمسيح والمشابهون لصورته؟

عند التعامل مع المقدّس، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار إعلان العهد الجديد عن تأثير الشيطان والحرب الروحيَّة المستمرَّة التي يعيشها المؤمن ضدَّ الرياسات والسلاطين. فالكتاب المقدَّس — من الأناجيل إلى الرسائل وصولًا إلى سفر الرؤيا — يؤكِّد على أنَّ المسيح هو المنتصر على قوى الشيطان، وأنَّه في نهاية الزمان، سيُطرد الشيطان نهائيًا. وحتى ذلك الحين، يعيش البشر في عالمٍ يسوده الصراع بين هاتَيْن القوَّتَيْن.
صحيح أنَّ الشيطان طُرد من السماء، لكنَّه ما يزال يمتلك تأثيرًا قويًّا على حياة البشر، ويصرُّ على حرمانهم من التمتُّع بالشركة الروحيَّة مع الله.

تتناول عدَّة نصوص في العهد الجديد تحذيرات من الارتداد والإهمال وإنكار الإيمان الصريح. لم يُعطَ للبشر صلاحيَّة التصريح بأنَّ الذين ارتدوا عن الإيمان لم يكونوا مختارين أساسًا؛ فهذه من صلاحيَّات الله وحده.
تشير كلُّ الدلائل إلى أنَّ الإنسان يُجتذب نحو المقدّس. إنَّ القول بأنَّ الإنسان —بسبب قساوة قلبه، أو خوفه، أو رضاه عن أسلوب حياته، أو تحت تأثير الشيطان — لا يملك حقَّ الرفض، يجعله دمية ويسلبه إرادته الحرَّة. ومن جهة أخرى، القول بأنَّه

لا دور لله أو للمسيح في اجتذاب الإنسان نحو المقدَّس يجعل الإنسان هو المبادر إلى خلاصه بنفسه، وهذا يتعارض مع تعاليم الكتاب المقدَّس.

في النهاية، تبقى لدينا الفكرة الرائعة بأنَّ الإنسان يمكن أن يُجتذب إلى الشركة مع الله.

القراءة

اقرأْ كتاب *الاقتداء بالمسيح* لتوماس أكيمبيس.

عند الانتهاء من قراءة التأمُّلات وكتاب *الاقتداء بالمسيح*، انتقلْ إلى الوحدة الثالثة (الوحدة ٣).
الامتحان في نهاية الوحدة الثالثة سوف يغطِّي محتوى الوحدتَيْن الثانية والثالثة.

الوحدة الثالثة: تحقيق الروحانيَّة

تتطلَّب الروحانيَّة سياقًا معيّنًا.

من وجهة النظر الكتابيَّة، الروحانيَّة لا تجتاح الفرد ببساطةٍ، بل يحفِّزها التأمُّل الذاتيُّ العميق أو تجربة الموت الوشيك. لكن لا التأمُّل ولا الأزمات تقود المرء تلقائيًّا إلى الروحانيَّة.

الروحانيَّة مرتبطة بأن يكون الإنسان "في المسيح". أو كما يقول بولس: "إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ." (2 كورنثوس 5: 17).

إذا كانت الروحانيَّة "تتحقَّق" من خلال المسيح، فما معنى ذلك؟

بصورة أبسط، الانخراط الروحيُّ يعني أنَّ الإنسان قد اتَّخذ قرارًا واعيًا بتسليم حياته الطبيعيَّة لله عبر الاستجابة لدعوة الإنجيل. فعندما يسمع الإنسان بشارة يسوع المسيح، يجب أن يتَّخذ قرارًا: إمَّا أن يؤمن بالشهادة، وإمَّا أن يرفضها. هذه هي الخطوة الأولى نحو الروحانيَّة.

يبدأ الإنسان رحلته الروحيَّة قبل أن يصبح مسيحيًّا.

وعلى عكس الرأي الشائع الذي ينكر قدرة الإنسان على الاستجابة لله بسبب الخطيَّة الموروثة من آدم، يعلِّم العهد الجديد أنَّ الإنسان قادر على الاستجابة للإنجيل. فقد ناشد بطرس الجموع في يوم الخمسين قائلاً: " اخْلُصُوا مِنْ هَذَا الْجِيلِ الْمُلْتَوِي." فَقَبِلُوا كَلاَمَهُ بِفَرَحٍ وَاعْتَمَدُوا (أعمال الرسل 2: 40–41).

من الواضح إذًا أنَّ الروحانيَّة متاحة لكلِّ مَنْ يطلب الله من خلال يسوع المسيح.

المرحلة الثالثة من الرحلة على وشك أن تبدأ، وتتعلَّق ببلوغ علاقة روحيَّة مع الله.

في بداية هذه المرحلة، عليكَ أن تتَّخذ قرارًا:

"هل أقبل فكرة أنَّ الروحانيَّة يمكن أن تتحقَّق؟"

على طول الطريق، سوف تُطالب باتِّخاذ قرارات أخرى تتعلَّق بفحص إمكانيَّة أن يكون الشرط أساسيَّ للروحانيَّة هو إدراك شعورنا بالاغتراب عن الله؛ وأنَّ الله نفسه هو مَنْ وضعَ الطريق إلى الروحانيَّة؛ وأنَّ بلوغها يتطلَّب الاستجابة التي عَيَّنها اللهُ.

هلَّا تابعنا معًا؟

الوحدة الأولى: الشعور بالاغتراب والاحتياج الروحيّ

في الأحاديث اليوميَّة العامَّة، قد يصف الناس شخصًا ما بأنَّه "طيِّب". يوحي هذا الوصف بأنَّ الشخص لا يكتفي بالالتزام بالقوانين، بل ودود، ولطيف، ويدعم قضايا نافعة. ويُحكم على هذا الشخص بأنَّه "طيِّب" وفقًا لمعايير السلوك المدنيّ.
لكن حتَّى الملحد يمكن أن يفي بهذه المعايير. لذا فكَوْن الإنسان طيِّبًا لا يجعله بارًّا.
"البارُّ" هو الشخص الذي جعله الله هكذا.
وهذا التوصيف يدلُّ على أنَّ الشخص قد "افتُدِي" من الخطيَّة التي جعلته في غربة عن الله. والسلوك الذي يتبع الفداء يعكس طبيعة الله وصفاته نفسها.

إنَّ ما يدفع الإنسان إلى السعي للدخول في علاقة روحيَّة مع الله هو شعوره بالاغتراب عن الله وإدراكه لاحتياجه إلى الفداء.
وإلَّا لماذا يسعى الإنسان إلى الروحانيَّة إذا لم يشعر بأنَّه منفصل عن الله؟
وكيف له أن يستجيب لعرض الله بأن يمنحه بركات روحيَّة إذا لم يشعر باحتياجه إليها؟
لا بدَّ من أن يختبر الإنسان الشعور بالضلال والفراغ واليأس، لأنَّ هذا الشعور يضغط على وعي الإنسان ويكشف له عن حالة لا مخرج لها بالوسائل البشريَّة.

إنَّ المفتاح لفهم الشعور بالاغتراب والاحتياج الروحيّ يكمن في إدراك بشاعة الخطيَّة.
فلا معنى للخطيَّة خارج إطار العالَم المقدَّس، وهي تُعرَّف بشكلٍ سلبيّ مقارنةً بطبيعة الله.
الإعلان الإلهيُّ هو الذي يُخبر الإنسان عن الخطيَّة، والضمير الإنساني هو الذي يستشعر بها.
فالإنسان يملك القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، لكنَّه لن يدرك النطاق الكامل للصواب والخطأ إلَّا من خلال إعلان الله.

لا سبب منطقي يبرِّر عدم وعي الناس بالخطيَّة وإدراكهم لها، حتَّى لو نشأوا في مجتمعات تُعلِّمهم وتغرس فيهم فكرة أنَّ الخطيَّة مفهوم عفا عليه الزمن، أو خرافة، أو مجرَّد وَهْم، فإنَّ هذا التفكير هو عكس المنطق. إذ إنَّ كلَّ فرد قادر بالفطرة على إدراك الفرق بين الصواب والخطأ، قد لا يعرف تفاصيل الأفعال الخاطئة كما تحدِّدها الأسفار المقدَّسة، لكنَّه بالطبيعة يدرك مفهوم الخطأ والصواب، وإلَّا لانعدمَتْ جميع الضوابط، ولاستحالت الحياة البشريَّة.

الخطوة الأولى من المرحلة الثالثة تطالب باتِّخاذ قرار بشأن حقيقة الخطيَّة وما يترتَّب عليها من منعنا من بلوغ الروحانيَّة.
وتفترض هذه المناقشة أنَّ الشعور بالاغتراب عن الله هو شرطٌ أساسيٌّ لاختبار الروحانيَّة.

أ. الخطيَّة

هل أنتَ مستعدٌّ في هذه الخطوة للتفكير في مفهوم الخطيَّة؟
هل أنتَ مستعدٌّ للنظر في احتمال أن تكون الخطيَّة مسألة خطيرة وفادحة؟

هل أنتَ مستعدٌّ للتسليم، على الأقلِّ بغرض المناقشة، بأنَّ التغلُّب على الخطيَّة لا يكون بالتأمُّل، ولا بالالتزام بالقوانين، ولا بتقديم الذبائح، ولا بممارسة الطقوس بغرض استرضاء الله؟ إنْ كانت إجابتك "نعم"، فتابعْ القراءة.

الكلمة الأكثر استخدامًا للدلالة على الوسيلة التي بها يصبح الإنسان غير مقدَّس ومنفصلًا عن الله هي "الخطيَّة."
يتعامل الإنسان الطبيعيُّ مع الخطيَّة باستخفافٍ، لأنَّها تُشكِّك في سلوكه وأفكاره، ويرى فيها مصدر إزعاج أكثر منها مشكلة حقيقيَّة. يقلِّل بعض الناس من خطورة الخطيَّة، مطلقين عليها أسماء مثل "المرض"، أو "الإدمان"، أو "الحادث"، وهكذا ينتقل اللوم من الفرد إلى المادَّة أو الظرف الخارجيّ. لكن، كما يعرف الأشخاص الروحيُّون، الخطيَّة أعمق بكثير ولها عواقب وخيمة إذا لم يتمَّ التغلُّب عليها.

في البيئة القانونيَّة، قد تُعرَّف الخطيَّة بأنَّها خرق للقانون.
لكنَّ يسوع أوضح أنَّ مجرَّد موقف القلب قد يعرِّض الإنسان للدينونة أيضًا (متَّى 5: 21–30).
فالخطيَّة تحدث أيضًا عندما يهمل الإنسان فعل الخير الذي يعلم أنَّ من واجبه القيام به (يعقوب 4: 17).
الخطيَّة تعني "إخطاء إصابة الهدف."

أمام الإنسان ثلاثة خيارات في التعامل مع الخطيَّة:

- تجاهلها،
- تبريرها،
- أو السعي لإيجاد علاج لها.

تجاهل الخطيَّة يقود إلى الموت الروحيّ، تمامًا كما يؤدِّي تجاهل السرطان في الجسد إلى الموت الجسديّ.
محاولة "تبرير" الخطيَّة عبر إلقاء اللوم على عوامل أخرى هو كأن يُصاب إنسانٌ بسرطان الرئة، فيلقي باللوم على صناعة التبغ؛ ومع ذلك يظلُّ السرطان موجودًا.
البديل الوحيد العمليُّ والفعَّال هو السعي لإيجاد علاج، أي البحث عن الشفاء.

خذْ لحظة للتأمُّل في وضعك الشخصيّ. لا داعي لأن تبوح بمشاعركَ لأحد.
كلُّ ما عليك فعله هو أن تأخذ وقتًا لتتعامل مع مشاعرك الداخليَّة تجاه ما قد يُعتبر خطيَّة.
واجهْ حقيقة: أنَّك لستَ كاملًا، بل خاطي.

ب. الشعور بالاغتراب

الآن بالنسبة إلى القرار التالي، أنتَ مطالب بالتأمُّل في مسألة الشعور بالاغتراب.

هل أنتَ مستعدٌّ للغوص في أعماق نفسكَ لتتحقَّق ممَّا إذا كنتَ تشعر بالاغتراب عن الله؟

إذا لم تكن مستعدًّا لذلك، فالفقرة التالية لن تعني لك الكثير — ولكن يمكنكَ مواصلة القراءة على أيِّ حال.

الاغتراب هو حالة ينفصل فيها المرء عن الشخص الآخر.

إنَّها حالة يسود فيها العداء.

في حالة الاغتراب، يشعر الإنسان بالعزلة والانفصال والبُعد عن الآخر.

هذا الشعور مزعج بما فيه الكفاية عندما يحدث بين شخصَيْن مرهقَيْن عاطفيًّا بسبب خيانة الثقة أو عدم التصرُّف بحسن نيَّة.

لكن عندما يدرك الإنسان اغترابه الشخصيَّ عن الله، ينتابه شعورٌ بالعجز التامِّ.

ومع ذلك، يجب ألَّا يقتاده هذا الإحساس إلى اليأس، لأنَّ الشعور بالاغتراب عن الله شرطٌ أساسيٌّ يسبق المصالحة معه.

في أيِّ مرحلة من الحياة يشعر الإنسان بهذا الاغتراب؟

بالنسبة إلى بعض الناس، يظهر هذا الشعور في سنٍّ مبكرة، عندما يصير الطفل قادرًا على التمييز بين الصواب والخطأ، ويشعر بالذنب أمام الله بعد اقتراف شرٍّ ما.

وهذا يستبعد الأطفال الرضَّع والأطفال الصغار جدًّا.

المسألة متروكة للحكم الشخصيِّ لتحديد في أيِّ عمر يشعر الطفل بأنَّ ارتكابه لخطأٍ ما سوف يضعه أمام معضلة أخلاقيَّة تتجاوز مجرَّد الخوف من عقاب الوالدَيْن.

خلال سنوات النموِّ، يصل الطفل في النهاية إلى اختبار نوعٍ من الشعور بالاغتراب عن الله.

من الممكن أن يعيش الإنسان حياته البالغة بأكملها من دون أن يشعر بهذا الاحتياج الروحيِّ، ربَّما لأنَّه أُعمي عن رؤيته، أو لأنَّه عاش في ظروف حجبت الجانب الروحيَّ في حياته.

صحيح أنَّ هذه الظروف لا تُلغي مسؤوليَّته، لكنَّها تفسِّر تأخُّره في إدراك الاغتراب والاحتياج الروحيِّ.

وكما في القسم السابق، تأمَّلْ لبعض الوقت في إحساسكَ في حال اكتشفتَ وجود شعور بالاغتراب عن الله.

ج. الاحتياج الروحيُّ

إذا افترضنا أنَّكَ اعترفتَ بأنَّكَ شعرتَ بالاغتراب عن الله في الماضي أو أنَّكَ تشعر به الآن، هل أنتَ مستعدٌّ لأن تعتبر أنَّ هذا الاغتراب، سواء في الماضي أو في الحاضر، قد ولَّد لديكَ شعورًا بالاحتياج الروحيِّ؟ بدون إطالة، الفكرة الأساسيَّة هي: إذا

لم تشعر بالاحتياج الروحيّ، لن تحقِّق الروحانيَّة. وهذا الشرط يفترض أنَّ الإنسان يتَّجه نحو الروحانيَّة لأنَّه يشعر بفراغٍ روحيّ في حياته.

إذا لم تكن للخطيَّة عواقب سلبيَّة، فلن تشعر بالاحتياج الروحيّ. ولكن، إذا كان الاغتراب عن الله بسبب الخطيَّة مسألة خطيرة، فلا بدَّ من الشعور "بالاحتياج الروحيّ" سواء أدرك الإنسان ذلك أم لم يدركه. يفترض هذا الاحتياج أنَّ الإنسان مسؤول أمام الله عن أفكاره وسلوكه. الاغتراب عن الله ليس بالأمر الجيِّد.

بمجرَّد أن يدرك الإنسان ضرورة التغلُّب على الخطيَّة، كيف يتحرَّك نحو الحلّ؟
قد يفترض المرء أنَّ الله وصفَ العلاج من دون أن يحدِّد سلفًا مَنْ يحقُّ له الوصول إلى هذا العلاج.
فإذا كان الله محبَّة، وأرسل يسوع ليموت عن كلِّ الناس في العالَم، سأفترض أنَّ ذلك يشملني أنا أيضًا.

كلُّ نظام يلغي بشكلٍ عشوائيّ إمكانيَّة وصول أيّ إنسان إلى نعمة الله هو نظام سيِّئ.

الاحتياج الروحيُّ أعمق من مجرَّد "رغبة"، إنَّه ضرورة قصوى، وينشأ عندما يطلب الإنسان ما لنفسه ويحاول العيش بعيدًا عن الله. قد يظنُّ الإنسان أن كلَّ احتياجاته الجسديَّة مسدَّدة، ولا يدرك أنَّ أعظم احتياج هو الاحتياج الروحيُّ. وقد يمتلك كلَّ ما يمكن أن يقدِّمه العالَم، ومع ذلك يظلُّ يشعر بفراغٍ داخليّ. فهذا الفراغ لا تملأه سوى معرفة الله خالقنا.

في نهاية هذه المرحلة، تأمَّلْ في شعورِكَ الشخصيّ بالاحتياج الروحيّ. فالشوق إلى الله شعورٌ طبيعيٌّ كالشعور بالحنين إلى الوطن الذي ينتابنا عندما نبتعد عن البيت والعائلة.

القراءة

اقرأ نسخة ورقيَّة أو نسخة عبر الإنترنت من كتاب: "اعترافات القدِّيس أوغسطينوس"

إنَّ الشعور بالاغتراب والشعور الاحتياج الروحيّ لا يولِّدان بحدِّ ذاتهما روحانيَّةً. لأنَّ الروحانيَّة مرتبطة بإيجاد "الفداء"، وينتج عنها سدٌّ للاحتياج الروحيّ واقترابٌ من الله. فهل تريد متابعة موضوع الفداء؟

الوحدة الثانية: الفِداء

يشير مصطلح "الفداء" إلى "استرداد" أحدهم أو "شرائه من جديد."
وفي المصطلحات الدينيَّة، يحمل المفهوم فكرة أنَّ الشخص الذي يُفتدى كان في وقتٍ ما كاملًا ونقيًّا، ولكن مع مرور الوقت، ضلَّ الطريق وتاه. ويأتي الفداء بالتجديد.

يمكننا أن نفترض أنَّ الإنسان كان طاهرًا نقيًّا في ثلاث مراحل تاريخيَّة:
(1) في حالة الخليقة الأصليَّة،
(2) وعند الولادة،
(3) وفي حالة الفداء.

كان الزوجان الأصليَّان (آدم وحواء) بلا خطيَّة عند خلقهما الله، ولكنَّهما مُنحا القدرة على ارتكاب الخطيَّة.
وعندما اختارا أن يخطئا، جاءت العواقب (تكوين 2: 25 – 3: 19؛ راجعْ أيضًا 1 يوحنَّا 2: 16).

أما القول بأنَّ الإنسان نقيٌّ وطاهر عند الولادة فيستند إلى ما يفترضه مخطَّط الفداء.
فكلُّ خطَّة الفداء قائمة على مبدأ أنَّ كلَّ إنسان مسؤولٌ عن خطاياه الخاصَّة وعن استجابة الإيمان الشخصيَّة.
صحيح أنَّنا نعاني جميعًا تبعات خطيَّة آدم وحوَّاء، لكنَّنا لا نحمل ذنب خطيَّتهما. تتمثَّل التبعات في عيش حياة أصعب من الحياة التي عاشها آدم وحوَّاء في جنَّة عدن.
ومع ذلك، فكلُّ إنسانٍ وُلِدَ بعد آدم وحوَّاء يواجه الخيارات نفسها، ويتَّخذ قرارات سيِّئة مماثلة (رومية 3: 23).

أمَّا حالة الفداء، فهي الحالة التي يُرفع فيها الحكم الناتج عن كسر الناموس (رومية 8: 1–2).
إنَّها الروحانيَّة المحقَّقة بالفعل،
ولكنَّها ليست ضمانًا نهائيًّا للخلاص للمفديِّين الذين قد يختارون لاحقًا إيمانًا بديلاً أو يسلكون سلوكًا غير روحيٍّ.

لم يكن اهتمام الله محصورًا ببعض المختارين، بل شمل البشريَّة جمعاء.
اختيار الله لإسرائيل لم يكن بقصد استبعاد الآخرين، بل بقصد استخدام إسرائيل كوسيلة لاجتذاب الآخرين إليه.
وهذا الفكر حاضر في الوعد الذي قطعه الله لإبراهيم، وواضح في الأسباب التي على أساسها اختار الله إسرائيل لتمثِّله أمام العالم. قيمة المسيحيَّة لا تكمن في إسهاماتها الاجتماعيَّة، بل في قيمتها الذاتيَّة الناتجة عن ارتباطها بالله.

القرار المطلوب منكَ اتِّخاذه في هذه المرحلة يتعلَّق بالشعور باحتياجكَ إلى الفداء.
هل الفداء شرطٌ أساسيٌّ ومُسبقٌ للحياة الروحيَّة؟
وحده الشعور بالضلال أو الاغتراب عن الله هو الذي يقود الإنسان إلى الشعور باحتياجه إلى الفداء أو الخلاص.
ولكي تتابع، تحتاج أن تكون مستعدًّا لاستكشاف دور الفداء في تحقيق الروحانيَّة.

أ. طبيعة الفداء

"الفداء" في المعنى الدينيّ يعني الخلاص، والعتق، والتحرُّر، والإطلاق، والاسترداد.

ومن الناحية اللاهوتيَّة، يضيق المصطلح ليركِّز على التغيير في حالة الإنسان الروحيَّة.

لقد أصبح الفداء ضروريًّا لأنَّ خطيَّة الإنسان فَصَلَتْه عن الله.

وبما أنَّ الله قدُّوس، كان لا بدَّ من حدوث شيء يخلِّص الإنسان من خطيَّته ويعيد خلقه ككائن مقدَّس.

يبدأ الفداء من الله.

فنظرًا لطبيعة الله وطبيعة الإنسان، لا يمكن أن يغلب البشر طبيعتهم الخاطئة بأنفسهم.

الفداء يعني إعادة الإنسان إلى مكانةٍ أمام الله تمكِّنه من الدخول إلى المجال المقدَّس.

ومهما حاول الإنسان،

ومهما حَفِظَ الشرائع،

ومهما قام بأعمالٍ صالحة،

ومهما صلَّى بحرارة،

يظلُّ الفداء بحاجةٍ إلى عملٍ إلهيّ ليتحقَّق.

أحد أعمق المفاهيم التي يصعب استيعابها المختصَّة بالفداء هو أنَّ الله لم يكتفِ فقط بأن يبدأه، بل حقَّقه بطريقة لا يمكن أن يتخيَّلها عقلٌ بشريٌّ.

وهذا بالذات ما يجعل المسيحيَّة تختلف عن كلِّ الديانات الأخرى.

بعض الديانات تبدأ بالإنسان وتسمح له باكتشاف الروحانيَّة بمجهوداته الشخصيَّة.

وأخرى تؤمن بأنَّ الله أوحى بمجموعة من الشرائع بدل تلك التي فُقِدَت.

ولكن فقط في الكتاب المقدَّس نجدُ عمليَّة فداءٍ بدأت بإرادة إلهيَّة، وتمحورَتْ أساسًا حول تقديم ابن الله ذبيحة.

لكن ينبغي ألَّا يفاجئنا ذلك، نظرًا لطبيعة المقدَّس ولموقف الله نفسه.

وقد عبَّر الرسول بولس عن هذا بقوله:

" فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ...

الْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً."

اقرأْ (1 كورنثوس 1: 18، 30)

ب. هدفُ الله في الفداء

إذا كان الفداء يبدأ من الله، فعلينا أن نرى فيه أعمال الله.

فالوحي ذاته الذي يتحدَّث عن إمكانيَّة الفداء ويقدِّم جوهره،

يعلن أنَّه أمرٌ خطَّط له الله منذ الأزل (أفسس 1: 4؛ 3: 11؛ 1 بطرس 1: 19).

وقد أطلق الله عمليَّة الفداء بعد خطيَّة آدم وحوَّاء.

ووعدَ به إبراهيم (تكوين 12: 1–4)، بهدف مباركة العالَم أجمع (غلاطية 3: 8).

وما فعله الله بإرسال يسوع إلى العالَم كان تحقيقًا لهذا القصد الأزلي.

إنَّ عبقريَّة سفر التكوين في سرد الخلق لا تكمن في الإعجاز العلميّ،

بل في الكشف عن كيفيَّة خلق البشريَّة.

يحمل الإصحاح الأوَّل عرضًا متناغمًا لكونٍ متوازنٍ، يُختتَم بتاج الخليقة: الإنسان.

وفي الإصحاح الثاني، يُستأنف الحديث الذي بدأ في ختام الإصحاح الأوَّل ويتَّسع ليتناول خلق المرأة.

وهذا بدوره يهيِّئ القارئ للإصحاح الثالث، حيث يُصوَّر لقاء الإنسان بالشيطان، والخطيَّة التي مزَّقت العلاقة بين آدم وحوَّاء والله.

ومع حلول الإصحاح الثاني عشر، تتَّضح الحاجة إلى فداء نسلِ آدم وحوَّاء.

ومع إبراهيم، تتجلَّى مبادرة الله في توفير الفداء.

قد نتساءل لماذا خلقَ اللهُ الإنسان ما دام يعلم بأنَّه سيخطئ ويسيء إليه؟

وحده الله مَنْ يستطيع أن يجيب عن هذا السؤال بالكامل.

لكن من منظورنا، تشهد هذه المسألة على طبيعة الله وصفاته.

هل كان بوسع الله أن يخلق الإنسان بحيث يطيعه ويتماشى دائمًا مع مشيئته؟

بالتأكيد نعم.

لكنَّ فكرة أنَّ الله قرَّر الفداء قبل عَمَلِ الخلق ذاته تشير إلى أنَّ خلق الإنسان كان مقصودًا ومتعمَّدًا.

فالإنسان لم يفاجِئ الله؛ بل الله هو مَنْ فاجأ الإنسان!

يحاول الإنسان، في سعْيِه لأن يكون صاحب السلطة النهائيَّة، أن يتجاهل أو يرفض فكرة أن الله تدخَّل في التاريخ عبر ابنه ليخلِّص الإنسان.

يفضِّل بعض الناس أن يتخيَّلوا اللهَ جالسًا في السماء بعصًا غليظة، ينتظر أن يضرب الإنسان عند كلِّ انحراف.

وآخرون يرفضون فكرة أنَّ الله يحاسبهم أصلاً.

صحيح أنَّ قداسة الله تحتِّم عليه أن يدين السلوك البشريَّ،

ولكن خلف هذه الدينونة يقف إله قدُّوس يتوق إلى أمانة الإنسان وكماله.

محبَّة الله تدفعه إلى أعمالٍ تفوق توقُّعات الإنسان وخياله.

وهذا جزء من سرِّ الله.

وهذا هو السبب في كونه إلهًا لا يتصرَّف وفقًا للتصوُّرات البشريَّة،

لو تصرَّف وفقًا للتصوُّرات البشريَّة، لما كان إلهًا على الإطلاق.

تأمَّل 3-1:

تأمَّلْ في الأفكار المكتوبة في رومية 2: 5-11.

ماذا يعلِّمك هذا المقطع عن المساءلة أمام الله؟

ج. الناموس والنعمة

هنا يقف الإنسان عند مفترق طرقٍ حاسم.

لكي تواصل السير على هذا الطريق، يجب أن تكون مستعدًّا على الأقلِّ لاستكشاف فكرة أنَّه لا يمكن كسب رضا الله عبر مجهودٍ بشريٍّ محدَّد،

ولا عبر التأمُّل،

ولا عبر السلوك الأخلاقيِّ الفطريِّ،

ولا عبر الأعمال الدينيَّة الصالحة،

ولا حتَّى عبر الطقوس التي وضعها الله نفسه.

لأنَّ التجديد الروحيَّ ممكن فقط عبر نعمة الله.

فالنظام العقائديُّ، والسلوك الأخلاقيُّ، والطقوس الدينيَّة ليست وسائل لكسب البرِّ، بل طرق يُظهر فيها الإنسان إيمانه بالله وطاعته له.

وحده الله هو الذي يضع المسار الذي يتمُّ من خلاله هذا التجديد.

وقد رتَّبه بطريقة تمنع الإنسان من أن ينسب الفضل إلى نفسه.

وقد عُرِض هذا المسار بوضوحٍ في العهد الجديد.

وفق تدبير الله، ثبت أنَّ حفظ الناموس كان غير كافٍ لخلاص الإنسان.

ينبغي أن نفهم أنَّ "الناموس" في حدِّ ذاته ليس خيرًا ولا شرًّا،

صحيح أنَّ شرائع الله تحتوي على الخير والقداسة (مزمور 19: 7–14؛ رومية 7: 12).

لكنَّ المشكلة لا تكمن في الناموس، بل في طبيعة الإنسان الساقطة (رومية 7: 14).

فحفظ الوصايا، حتَّى تلك التي أوصى بها الله، لا يخلِّص الإنسان.

لحدوث ذلك، كان ينبغي أن يحفظ الإنسان ناموس الله بالكامل.

فمَنْ يكسر وصيَّة واحدة يقع تحت الدينونة وفق النظام القانونيّ (يعقوب 2: 10).

إمَّا أن نكون كاملين، وإمَّا أن نحتاج إلى النعمة.

الشروط المنصوص عليها في العهد الجديد لم تُعطَ لتكون شرائع تبرِّر النفس أمام الله،

بل لتكشف طبيعة الحياة التي يعيشها الإنسان الروحيُّ.

عندما يعمل الروح القدس في حياة المؤمن، يظهر ثمره:

مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ، تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هَذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ. (غلاطية 5: 22–23).

الأعمال الصالحة تتبع التغيير الروحيَّ؛

إنَّها استجابة طبيعيَّة لمحبَّة الله (أفسس 2: 10)،

ولكنَّها لا تضمن بحدِّ ذاتها الخلاص.

فبدلًا من العمل لكسب الخلاص،

يردُّ المسيحيُّ بالشكر على هبة الخلاص (أفسس 4: 5).

النقطة الأساسيَّة هنا هي: كيف يتبرَّر الإنسان أمام الله؟

إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يتبرَّر عبر التأمُّل، أو حفظ الناموس، أو الأعمال الصالحة، فكيف يتبرَّر إذًا؟

الطريقة التي اختارها الله لفداء الإنسان كانت موت ابنه.

وهذا العمل يقتضي استجابة محدَّدة من كلِّ إنسان.

في البداية، عاش آدم وحوَّاء في علاقة كاملة مع الله.

ولكن عندما أخطآ، خسرا جزءًا من تلك العلاقة.

ونحن الجنس البشريَّ أخطأنا بدورنا وخسرنا أعلى درجات العلاقة مع الله.

وحدهم الكاملون هم الذين يستطيعون أن يعرفوا الله.

ولكن كيف لنا أن نعرف الله ونحن لسنا كاملين؟

كانت لله خطة لحلِّ هذه المشكلة:

فقد أرسل يسوع ليقدِّم حياته الكاملة لكي يفدي حياتنا غير الكاملة.

أخذ يسوع خطايانا إلى الصليب وأعطانا برَّه.

فقط بقبول عطيَّة يسوع هذه نستعيد العلاقة الصحيحة مع الله.

تأمُّل 3-2:

اقرأْ رومية 5: 1-21

هذا المقطع صعب وقد فُسِّر بطرقٍ مختلفةٍ عبر القرون.

اقرأه عدَّة مرَّات حتى تتمكَّن من تلخيصه ذهنيًّا.

لكي تقوم بذلك:

1. اقرأْ النصَّ وادرسْه بعناية.
2. أعِدْ قراءة المقطع، ولاحظْ الكلمات المفتاحيَّة، والعبارات الأساسيَّة، والأفكار المهمَّة.
3. حدِّد الفكرة الأساسيَّة لهذا الجزء.

يركِّز هذا التأمُّل على مفهوم "الفداء" كما يُعرض في رومية 5.

بعد قراءة رومية 5: 1-17، ركِّز خصوصًا على رومية 5: 18-21.

(1) اكتبْ ملخَّصًا لهذه الآيات.

(2) تأمَّلْ في الفرق الشاسع بين عبوديَّة الموت التي جاء بها آدم، وعطيَّة الحياة التي جاءت بيسوع المسيح.

هلَّا تابعنا؟

المرحلة التالية من الرحلة تركِّز على كيفيَّة استجابة الإنسان لله.

الوحدة الثالثة: الاستجابة لله

كما تمَّ التأكيد سابقًا، الفداء هو من الله.

الله هو الذي يحقِّقه.

وبطريقةٍ لا يمكن تفسيرها بالكامل، "يجتذب" الله الإنسان إليه.

ولكن، هل هناك استجابة بشريَّة مطلوبة؟

هل يُتوقَّع من الإنسان أن يخطو خطوة نحو الله؟

أم أنَّ الله يختار بشكلٍ اعتباطيٍّ بعض الناس للحياة الروحيَّة ويحكم على آخرين بالموت الروحيّ؟

إذا استطعنا أن نثبت أنَّ لكلِّ إنسان في العالَم **الحقَّ** في الاستجابة لله، و**القدرة** على الاستجابة، حينئذٍ يمكننا القول إنَّ للإنسان دورًا في عمليَّة الفداء.

فالله لم يكن ليعطي الناس "سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ" (يوحنَّا 1: 12) لو لم تكن لديهم القدرة على الاستجابة.

يمكن القول إنَّ الاستجابة البشريَّة تأتي تلبيةً لدعوة إلهيَّة.

يستطيع الإنسان أن يقبل مبادرة الله أو يرفضها؛ القرار قراره.

وتتطلَّب الاستجابة الإيجابيَّة قرارًا شخصيًّا يتبعه عمل.

باختصار، يمكن وصف هذه الاستجابة بكلمة "الإيمان."

الإيمان يشمل الموافقة، والطاعة، والثقة.

سوف نناقش مبادرة الإيمان تحت العناوين التالية:

- (أ) الإيمان والاعتراف،
- (ب) التوبة،
- (ج) المعموديَّة.

وسنناقش لاحقًا تأثير هذه الأعمال على الحياة.

من المهمّ أن نلاحظ هنا أنَّ فعل الإنسان في الاستجابة لله ليس بغرض كسب نعمة الله عبر الأعمال.

فمن جهة، تتطلَّب الاستجابة لله فعلاً بشريًّا.

ومن جهة أخرى، يجب ألا يُفهَم هذا الفعل على أنَّه الوسيلة التي بها يتحقَّق الخلاص.

وسيلة الخلاص الحقيقيَّة هي ذبيحة المسيح، وليس طاعة الأوامر الإلهيَّة بحدِّ ذاتها.

فالإنسان لا يستطيع أن ينال الخلاص حتَّى لو حَفِظَ الوصايا الإلهيَّة،
لأنَّ ذلك سيلزم الله تجاه الإنسان،
وسيلغي عطيَّة نعمة الله المجانيَّة.

للمتابعة، يجب أن تقبل فكرة أنَّ تحقيق الروحانيَّة يتطلَّب استجابة صحيحة لله.

أ. الإيمان والاعتراف

تبدأ استجابة الإنسان بسماع عَرْضِ الله للخلاص والحياة الروحيَّة.
ويُدعى الإنسان إلى أن يؤمن بالله، ليس ذلك فقط، بل إلى أن يؤمن بيسوع المسيح على أنَّه ابن الله.
ويقبل هذا الإيمان تجسُّد يسوع، وخدمته، وموته الكفَّاري، وقيامته، وصعوده وجلوسه عن يمين الله.

هناك مَنْ يقاومون الإيمان بيسوع لعدَّة أسباب.
بعضهم يرى أنَّ نَسْب الألوهيَّة إلى يسوع هو تجديف.
ولكن عندما يفهم الإنسان طبيعة الله وعمله الفدائي، يزول الخوف من التجديف.
فالإقرار بألوهيَّة يسوع لا ينتقص من مجد الله، بل يزيده،
لأنَّه يعترف بعمل الله المحبِّ لخلاص الإنسان.
فإذا كان يسوع مجرَّد نبيٍّ أو متحدِّثًا باسم الله،
لأصبح الخلاص معتمدًا على قدرة الإنسان على الالتزام بوصايا عامَّة.

قد يقاوم آخرون هذا التعليم لأنَّهم لا يستطيعون أن يتخيَّلوا كيف يمكن أن يدخل الله العالَم عبر ابنٍ متجسِّدٍ.
ولكن مَنْ ينتظر تفسيرًا بشريًّا كاملاً سيظلُّ محبطًا.
إنَّما مَنْ يستطيع أن يؤمن بوجود مصدرٍ ذكيٍّ للكون،
لن يجد صعوبة في تصديق أنَّ الله قادر على أن يدخل العالَم كما يشاء، حتَّى عبر ابنٍ متجسِّدٍ.

يؤمن الإنسان "بقلبه"، ممَّا يجعل الإيمان عملاً داخليًّا (راجعْ رومية 10: 10).
أولئك الذين سمعوا يسوع يتحدَّث، عاينوا المخلِّص بشكلٍ مباشرٍ.
أمَّا نحن الباقين، فنعرفه من خلال الأناجيل.
ليست الأناجيل سِيَرًا ذاتيَّة ليسوع،
بل عروض تقدِّم يسوع بوصفه المسيح، والمخلِّص، والفادي.

وهدفها إمَّا أن تقود القرَّاء إلى الإيمان (يوحنَّا 20: 30-31)

وإمَّا أن تثبت يقين هذا الإيمان (لوقا 1:1-4).

الإيمان هو ما يحمله الإنسان في قلبه.

أمَّا الاعتراف بالإيمان أمام الآخرين، فهو شهادة شفهيَّة بهذا الإيمان،

وإعلان عن أنَّ الإنسان لا يستحي بأن يدعو يسوع "ربًّا" (رومية 10: 10).

ويُعدُّ الاعتراف بالإيمان خطوة مبدئيَّة نحو الخلاص.

فالإيمان في أكمل صوره، يتجلَّى عبر الولاء لله.

الاعتراف أمام الآخرين لا يتعدَّى كونه تأكيدًا بأنَّ الشخص يؤمن أنَّ يسوع هو ابن الله، وأنَّه قرَّر بأن يصبح تلميذًا للمسيح.

أمَّا غياب التوبة، ورفض المعموديَّة، وعدم العيش حياة مقدَّسة،

فمن شأنه أن يناقض الإيمان.

ب. التوبة

يصبح الإنسان غير مقدَّس بسبب الخطيَّة، التي تفصله عن الله.

وللخروج من حالة الاغتراب وليصبح مقدَّسًا، يجب أن يتَّجه الإنسان نحو الله.

فالقداسة لا يمكن بلوغها أو الحفاظ عليها إلَّا بالشركة مع الله.

لذلك، تُصبح "التوبة" أمرًا ضروريًا،

لأنَّ الشخص غير المتجدِّد يسير في طريقه إلى الهلاك،

لأنَّ الطريق المؤدِّي إلى البرِّ والراحة الروحيَّة يسير في الاتِّجاه المعاكس.

التوبة تعني "الرجوع"، كأن يدير الشخص ظهره للطريق الذي كان يسلكه.

في السياق الديني، ترتبط التوبة بتحوُّل الإنسان غير الروحي إلى إنسان روحي.

ويحدث هذا التغيير عبر الحزن الذي بحسب مشيئة الله.

فالإنسان لا يتغيَّر لمجرَّد شعوره بالندم لأنَّ ضُبِطَ وهو يقوم بعملٍ اجتماعيٍّ خاطئ، بل يبدأ الإنسان باختبار التوبة الحقيقيَّة حين يشعر باضطراب داخليٍّ حقيقيٍّ بسبب انعدام اهتمامه الروحيّ.

إنَّ الانزعاج من الأنانيَّة ومن الانغماس في الشرِّ يزيل الأقنعة،

ويفتح الطريق أمام إمكانيَّة الفداء.

فالحزن العالميُّ فلا يؤدِّي إلَّا إلى الموت،

أمَّا الحزن الذي بحسب مشيئة الله فيؤدِّي إلى الحياة (2 كورنثوس 7: 10).

التوبة فعلٌ إدراكيٌّ وواعٍ.

وهي تحدث في عمرٍ يبدأ فيه الإنسان بالشعور بالذنب بسبب الخطيَّة.

قد يختلف هذا العمر من شخص إلى آخر.

ونظرًا لأنَّ عمليَّة الفداء مسألة شخصيَّة وفرديَّة، فإنَّ التوبة تظلُّ قرارًا فرديًّا.

من غير المجدي فرضُ المعموديَّة على شخصٍ لا يفهم دورها، أو يرفض المرور بعمليَّة التوبة.

التوبة تقع بين الإحساس بالخطيَّة والفداء.

ولا يمكن اعتبارها أمرًا اختياريًّا أو ثانويًّا.

صحيح أنَّ التوبة عنصرٌ أساسيٌّ في الفداء، لكنَّها بمفردها لا تحقِّق الخلاص.

قد يختبر الشخص العاديُّ تغيُّرًا في توجُّهه بدون أن يدخل في علاقة حقيقيَّة مع الله.

لاهوتيًّا، التوبة تهيِّئ القلب للفداء.

وفي هذه المرحلة، تكون التوبة حدثًا لمرَّة واحدة.

ومع ذلك، حتَّى بعد المعموديَّة،

تصبح التوبة عنصرًا مستمرًّا في حياة المؤمن.

فالإنسان المسيحيُّ، على الرغم من أنَّه لم يعد عبدًا للخطيَّة،

فإنَّه قد يسقط أحيانًا فيها.

وبالتأكيد، هو مغطًّى بدم المسيح،

ولكنَّ تجديد الاعتماد على الله يبقى جزءًا من المسيرة الروحيَّة.

ج. المعموديَّة

تشكِّل المعموديَّة نقطة الدخول إلى موت يسوع المسيح (رومية 6).

ولا يوجد شيء سحريٌّ في الماء نفسه أو حتَّى في الطقس بحدِّ ذاته.

المعموديَّة تتبع التوبة والاعتراف بالإيمان.

وهي ترمز إلى موت الإنسان عن ذاته القديمة وطريقه الخاطئ القديم.

فعندما ينزل الإنسان إلى ماء المعموديَّة،

يشترك في موت المسيح،

ويترك حياته القديمة وراءه،
ليبدأ وجودًا روحيًّا جديدًا.

كلمة "معموديَّة" في الإنجليزيَّة مأخوذة من الكلمة اليونانيَّة "بابتِزو (baptizō) "،
والتي تعني "يغمر" أو "يغطس."
لذلك، كانت المعموديَّة في العهد الجديد تتمُّ عبر غمر الشخص بالكامل في الماء.

عندما يعتمد الإنسان، يمنحه الله عطيَّة الروح القدس (أعمال الرسل 2: 38).
ويصبح الروح القدس عربونًا من الله على وفائه بوعوده (أفسس 1: 13-14).
ومع سكنى الروح القدس في المؤمن الجديد،
تصبح القوَّة المؤثِّرة في حياته هي روح الله القدُّوس،
وليس الطبيعة الخاطئة.

فوحدهم الذين يقودهم الروح القدس هم أبناء الله.
وهؤلاء وحدهم ينالون نصيبًا في مجد المسيح (رومية 8: 9-17).

ليس الروح القدس قوَّة سحريَّة. فهو لا يجبر الإنسان على فعل الصواب أو يمنعه من ارتكاب الشر، بل يظلُّ الإنسان محتفظًا بحرِّيَّة الإرادة، لكنَّ الروح القدس يمنح القوَّة والشجاعة، وهو يسكن في المؤمن ويقوِّيه على مواجهة قوى الشرِّ، ويشفع بالمؤمن أمام الآب. لماذا لا نتوقَّع من واضع خطَّة الفداء أن يمدَّ المفديِّين بالمعونة في سعيهم إلى عيش حياة مقدَّسة؟
هذا جزء من العمليَّة الروحيَّة.

تأمُّل 3-3:

اقرأ رومية 6. ماذا تقول رومية 6: 3-4 عن المعموديَّة؟ وماذا تضيف الآيات 5-11 من الإصحاح ذاته؟

إجراء عملي: المرشَّح للمعموديَّة هو شخص ناضج بما يكفي لفهم مفهوم الانفصال الروحيّ، ويؤمن بأنَّ يسوع المسيح هو ابن الله، ولديه قلب تائب، وقد اعترف علنًا بأنَّ يسوع هو ابن الله، أي أمام الآخرين. الاعتراف العلنيُّ نفسه ليس سوى تصريح يقول: "أومن أنَّ يسوع هو المسيح ابن الله". وربَّما يكون أوضح سياق لهذا الاعتراف هو اعتراف بطرس على جبل التجلّي عندما قَالَ لَهُمْ يسوع: "وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟" فَأَجَابَ بُطْرُسُ: "أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ." (متَّى 16: 15-16). هذا الاعتراف أساسيٌّ، إذ به يقرُّ الإنسان بالشخص (يسوع المسيح) الذي به الخلاص.

لإجراء المعموديَّة، يجب توفُّر قدرٍ كافٍ من الماء، سواءً في حوضٍ أو مَسْبَحٍ أو نهرٍ أو بحرٍ، تكفي لغمر المرشَّح بالكامل. يمكن أن يجري أيُّ شخص قادر هذا الفعل، ولا ضرورة لأن يكون مرسومًا أو مكلَّفًا خصِّيصًا من قِبل هيئة كنسيَّة لإتمامه. على هذا الشخص أن يطلب الاعتراف بالإيمان ثمَّ يقول كلمات مثل: "أعمِّدكَ باسم الآب والابن والروح القدس لمغفرة خطاياك ولنوال عطيَّة الروح القدس".

يمكن أن تتمَّ المعموديَّة في أيِّ وقت يكون فيه المرشّح جاهزًا، سواء كان نهارًا أم ليلًا. عندما يحين الوقت، يتوجَّه المرشَّح والمعمِّد (مع أيِّ شهود) نحو الماء. يمكن دفع المرشَّح تحت الماء من رأسه مباشرة، أو إنزاله للخلف أو إلى الأمام. يجب أن يُمسك المعمِّد المرشَّح جيِّدًا لضمان إخراجه من الماء بطريقة منظَّمة. الأهمُّ هو معنى الحدث؛ ففي المعموديَّة يدخل المؤمن رمزيًّا في موت المسيح، الذي يطهِّر دمه من الخطايا ويمنح حياة جديدة مقدَّسة.

الامتحان:

الآن، بعدما وصلتَ إلى نهاية هذه الوحدة، عليكَ مراجعة المادَّة استعدادًا للامتحان المتعدِّد الخيارات. عندما تكون مستعدًّا للامتحان، يمكنكَ فتحه من قائمة المقرَّر.

الوحدة ٤: مجتمع روحي

يخلق المسيحيون كأفراد. فهم يجيبون أمام الله كأفراد. ومع ذلك، عندما يصبح الشخص مسيحيًا، فإنه يُدمج في "جسد المسيح" (انظر أفسس ٢: ١٣-٢٢). لا يصبح المرء مسيحيًا ثم يقرر ما إذا كان سينضم إلى الكنيسة أم لا. فبمجرد العمل الإلهي، يُدمج الشخص تلقائيًا في الكنيسة الجامعة التي مات المسيح من أجلها.

ويجب ألا تُخلط الكنيسة الجامعة بالمسيحية الطائفية، تلك الظاهرة المؤسفة حقًا. فالكنيسة الجامعة هي جماعة من الذين طُهّروا بدم المسيح. إنها المكان الذي يتساوى فيه جميع المفديين — رجالًا ونساءً من كل الأجناس والمستويات الاجتماعية.

الكنيسة الجامعة غير مرئية. فلا لافتة أو برج أو كاتدرائية يمكن أن تجعلها مرئية. وأفضل ما يمكن أن تقوم به هذه الرموز المادية هو أن تشير للمراقب في الاتجاه الصحيح. لقد أشارت المرافق الكنسية الجميلة في روسيا وأوكرانيا إلى عمل الله الفدائي طوال فترة الشيوعية، حتى وإن كان العديد منها مغلقًا أو قد تحول إلى متاحف.

وبينما ينتمي المسيحيون إلى الكنيسة الجامعة، فإنهم يمارسون حياتهم الروحية في إطار مجموعة أو جماعة من المؤمنين. وبما أنهم كائنات مادية، فلا بد لهم من أن يعيشوا في عالم مادي. ومن ثم، تُمارَس البُعد الروحي في حياة كل شخص في سياق مجتمع من المؤمنين، مع بقاء الأدوار التي خُلِقوا لها على حالها. فهم يتزوجون، ويعملون، ويخالطون الناس، ويدرسون، ويلهون مع من يشاركونهم نفس القيم.

إن إنشاء جماعة محلية من المؤمنين ليس خيارًا بالكاد، بل هو أمر تفرضه طبيعة الكنيسة ذاتها. فالمسيحيون بحاجة إلى أن يعملوا معًا، ويعبدوا الله معًا، ويعضد بعضهم بعضًا. ولا مكان للعداوة بينهم إن كانت الكنيسة المحلية، أو "الخلية"، أو "جماعة القديسين" مستحقة لهذا الاسم. فالمصالح الروحية تسمو على الطموحات الشخصية. وتفضيل كل واحد للآخر يؤدي إلى وحدة تربط الأعضاء المختلفين معًا.

نحن الآن مستعدون للمرحلة الرابعة من الرحلة. والافتراض هو أنه ما إن تتحقق الروحانية حتى يجب تنميتها. فهل أنت مستعد للنظر في الخطوة التالية؟ إنها خطوة تصوّر الحياة في جماعة مع مؤمنين آخرين.

الوحدة ١: ما هو هذا المجتمع الروحي؟

إن المجتمع الروحي الذي كوّن الله فيه شعبه يُعرَف من خلال تعبيرات متنوعة في العهد الجديد. فقد تكلم يسوع تحديدًا عن "ملكوت" الله، مما يعني سيادة الله. الله هو الملك، وقد أُعطيت ليسوع السلطة عن يمينه. وأما الذين وُلِدوا من الماء والروح فهم الرعايا في هذا الملكوت الروحي. وتُصوِّر تعبيرات أخرى المجتمع كجسد، أو عائلة، أو هيكل. هناك أكثر من خمسين صورة رئيسية وفرعية استُخدمت في العهد الجديد لتُظهر أوجهًا متعددة لهذه المؤسسة الإلهية الواحدة. وأكثر المصطلحات شيوعًا في الأناجيل هو "الملكوت"، بينما المصطلح الأكثر استخدامًا في الرسائل هو "الكنيسة".

الكنيسة كيان إلهي يضم الله إليه الناس عندما يعتمدون (أعمال ٢: ٤١). وعلى الأرض، تُنظم الكنيسة مع كون المسيح هو الرأس (أفسس ١: ٢٢-٢٣). وكل جماعة محلية، مع مرور الوقت، يكون لها شيوخ أو رعاة. وهؤلاء الرجال أنفسهم يتميزون بالروحانية كما تُبيّن الصفات الموضوعة لهم (١ تيموثاوس ٣: ١-٧؛ تيطس ١: ٦-٩). ويهتم هؤلاء الرعاة بالقطيع الروحي — أي المسيحيين في الجماعة (أعمال ١٤: ٢٣؛ تيطس ١: ٥). وهم ليسوا متسلطين (١ بطرس ٥: ١-٤)، بل يعتنون بأعضاء المجتمع كما يفعل المسيح.

ينبغي ألا يشتت المجتمع الروحي بتشويهات بشرية تُخفي جوهره الحقيقي. فما نراه يُعرض أمامنا هو في الغالب صورة باهتة للواقع الحقيقي. فالذين يُسمّون أنفسهم مسيحيين أو يعتبرون أنفسهم روحيين هم جميعًا بشر. وحتى لو كان التزامهم نحو الله قويًا، فإن حياتهم ستُظهر بعض العناصر البشرية غير المكتملة. فعندما يتعرضون للضغط، قد يغضبون، وفي بعض الظروف قد يتصرفون بدوافع غير نقية. فهم ليسوا دائمًا أمثلة مشرقة يُحتذى بها. العلامة الحقيقية للمجتمع الروحي هي ارتباطه بفكر المسيح وخضوعه لمشيئته. وأما المزيفون فيُعرفون من ثمارهم الرديئة (متى ٧: ١٦). ويُعرف الروحيون من الثمر الذي

يُنتجه الروح، وهو "المحبة، الفرح، السلام، الصبر، اللطف، الصلاح، الأمانة، الوداعة، وضبط النفس" (غلاطية ٥: ٢٢). ويمكن التعرف على المجتمع الروحي من خلال كيفية تطبيقه لإيمانه في العمل، وليس فقط من خلال ما يدّعي أنه يؤمن به.

أ. مجتمع مؤمن ومُعلن للإيمان

إن وصف الكنيسة بأنها مجتمع مؤمن ومُعلن للإيمان يُميزها عن جميع الكيانات الأخرى. وبالمثل، فإن المنتمين إليها مفرزون عن سائر الجماعات البشرية. فهم يُظهرون التزامًا إيمانيًا مميزًا. يؤمنون بأن يسوع هو ابن الله، وبأنه بسبب صلبه وقيامته صاروا مقدسين أمام الله. وقد ارتبطوا بالمسيح الإلهي من خلال إيمانهم بشهادة الكتاب المقدس عن شخص يسوع وأعماله، وعزمهم على ترك الحياة الدنيوية (التوبة عن الخطية)، والاعتراف العلني بالمسيح، والغطس في الماء (المعمودية) حيث يُرمَز إلى موت الإنسان عن حياته القديمة، واتحاده بدم المسيح، وقيامته إلى حياة جديدة. وعند ذلك يُعطى لهم الروح القدس ليساعدهم في مسيرتهم الروحية. وهم يؤمنون أن جوهر إيمانهم يستثني كل معتقد آخر، وأن الإيمان ضروري لنوال الحياة الأبدية.

باعتبارها مجتمعًا مؤمنًا، تُظهِر الكنيسة في حالتها المثالية من خلال أناس لا يتزعزع يقينهم بجوهر الإيمان المسيحي، ولا يشكون في مصير إيمانهم، ولا يتزعزعون عند الامتحان. إيمانهم حيّ نابض، يراه الآخرون بسهولة وباستمرار، وليس إيمانًا خاملاً في الداخل أو مخفيًا بسبب الخوف. يواجهون بشجاعة هجمات الذين يحبون الشر ويكرهون البر. يظلون ثابتين في أوقات المرض والمشقة. يقاومون التجارب، والانحراف الأخلاقي، والسخرية، والتهديد. وبسبب احترامهم للوحي الكتابي، فهم يثقون بالله وبسيادة يسوع المسيح. وهم لا يسلّمون حياتهم للرب على مستوى فكري وعاطفي فحسب، بل يعكس أعضاء الجسد القيم والمواقف الروحية من خلال سلوكهم، الذي يصبح شهادة حية للإيمان بالمسيح.

باعتبارها مجتمعًا مُعلِنًا، فإن الكنيسة هي ذلك الكيان الإلهي الذي أُقيم لإعلان أعمال الله. والهدفان التوأمان للإنجيل المُعلن هما فداء البشرية ومجد الله. إن الإيمان الذي تعتز به الجماعة يُعلن من خلال كلمات المؤمنين، وشخصياتهم، وسلوكهم. ويأتي مجد الله كنتيجة لحياة متغيرة تعكس كيانه. فإذا لم يكن هناك إله، فلا معنى للمجد. ولكن إن كان الله قد قدس الذين افتداهم بدم ابنه وجدد صورته فيهم، فإن هؤلاء المقدسين يُظهرون صفات الله بين غير المؤمنين. وهكذا تصبح حياتهم بأكملها شهادة حية للإله الحق. والإيمان الذي يحملونه هو إيمان مشترك.

تأمل ٤-١ إذا كنت ستنظم جماعة من المسيحيين لتكون "كنيسة"، كيف ستضمن أن تتميز الجماعة المحلية باعتبارها مجتمعًا "مؤمنًا"؟ وكيف ستشجع بقية أعضاء الجسد على إعلان الإنجيل؟

ب. مجتمع مقدس وعابد

ا ن مفهوم الكنيسة كمجتمع مقدس وعابد يكشف عن الطبيعة المقدسة للجسد. فهي مكرسة لحياة مقدسة ولتمجيد الله. وكمجتمع مقدس، تُظهر الكنيسة صورة الله بين البشر. وكمجتمع عابد، تُدعى الكنيسة إلى تقديم الولاء لله وخدمة البشر.

من المهم أن يُلاحظ العالم غير المؤمن الكنيسة كمجتمع "مقدس". فأعضاؤها يعيشون في العالم، لكنهم لا يشاركون في المكائد الشريرة أو الصفقات المشبوهة أو مساعي السلطة الجشعة. إنهم عادلون، أمناء، وجديرون بالثقة. يمتنعون عن الممارسات التي تسيء إليهم وإلى غيرهم من المؤمنين. يبتعدون عن الأماكن ذات السمعة السيئة. يلتزمون بالقوانين المدنية. أحاديثهم طاهرة ونبيلة. لا يُرى عليهم التمرد أو العصيان.

ما يجب أن يبرز هو التزام الكنيسة بقانون أخلاقي. فالمجتمعات العلمانية تعيش وفقًا لقيود قانونية وليس على أساس أخلاقيات. أما المسيحيون، فينصب اهتمامهم على ما هو صواب وما هو خطأ وفقًا للمعيار الإلهي. يجتمع العلمانيون حول قيم بشرية المصدر، ويضيقون ذرعًا بأي تدخل من المسيحيين سواء كأفراد أو كجزء من الكنيسة. ومع أن المسيحيين لا يملكون الحق في فرض قيمهم الأخلاقية على عالم غير مؤمن، فإن لهم الحق والواجب في التصدي للشر.

وكمجتمع "عابد"، يُعلن المسيحيون إيمانهم من خلال العبادة. فهم يتصفون بالوقار ويعبرون عن تسبيحهم بفرح. تُظهر العبادة المسيحية طبيعة الإيمان المسيحي. يتركون صغائر الأمور جانبًا ويُعلنون للعالم موقفًا سليمًا. يصلّون من أجل قادتهم السياسيين، ويحزنون بسبب انتشار الشر. وتكون روحهم روح تواضع. ومن خلال الطقوس والحياة اليومية، يعبر المؤمنون عن شكرهم على البركات الجسدية والروحية. كما أنهم حساسون لاحتياجات إخوتهم؛ يطعمون الجائعين بفرح، يدعمون المضطهدين، ويكسون العراة.

تأمل ٤-٢

إذا كنت ستنظم جسدًا محليًا من المؤمنين، كيف ستعمل على تشجيع القداسة أو الروحانية؟ وبالنظر إلى الظروف في مجتمعك المحلي، أين ستجتمع الجماعة للعبادة؟ وكيف ستخطط للعبادة فيما يتعلق بعشاء الرب، والترنيم، وقراءة الكتاب المقدس والتعليق عليه، والتقدمات المالية، والصلاة؟ ما نوع الأجواء التي تعتقد أنه ينبغي أن تسود الاجتماع؟

ج. مجتمع مفعم بالرحمة والتشجيع

يُدعى المسيحيون الذين يدخلون في علاقة روحية مع الله إلى أن يُظهروا اهتمامهم بالآخرين، تمامًا كما أظهر الله اهتمامه بكل واحد منهم. فلا يمكن للكنيسة أن تعكس حضور الله في حياة أعضائها دون أن تصبح مجتمعًا تسود فيه المحبة. ومع أن هذا الفن لم يُتقَن بعد، إلا أن المسيحيين المخلصين يهتمون حقًا ببعضهم البعض. فهم يفكرون في الآخرين قبل أنفسهم. ويعطون دون توقع المقابل. ويذهبون الميل الإضافي حتى وإن كان ذلك مزعجًا أو مكلفًا.

وأكبر خيبة أمل وتحدٍ للمؤمن الجديد هو هذه الحقيقة: أن المسيحيين لا يتصرفون دائمًا كما ينبغي. ستجدهم في مكان ما بين الفتور والحماسة. قد يكونون قساة وعنصريين. وقد يكونون لا مبالين وأنانيين. أو قد يكونون متحمسين ويبحثون عن فرص لإظهار اللطف. المؤمن الجديد مقدر له أن يلتقي بهؤلاء جميعًا. وهنا يُدعى المؤمن الجديد لأن يسمو فوق المواقف والسلوكيات السلبية و"غير الروحية" الموجودة داخل الكنيسة. وسيجد بركة في أن يبادر بإظهار الصفات المرتبطة بالرحمة والتشجيع. وعلى الرغم من أنهم هم أنفسهم بحاجة إلى التشجيع، إلا أن المؤمنين المبتدئين أكثر قدرة على إيجاده من خلال أفعالهم بدلاً من انتظار الآخرين.

وباعتبارها مجتمعًا مشجعًا وملهمًا، تقوم الكنيسة بدور في إنضاج الروح الإنسانية ودعمها. الأعضاء الأقوى في المجتمع يقوّون الأعضاء الأضعف. يعملون كأسرة للتأكد من أن بقية أعضاء الجسد ينالون الغذاء الروحي اللازم ليبلغوا النضج في المسيح. وهم مرتبطون بعضهم ببعض بالمحبة، ويستمتعون بصداقتهم المتبادلة.

وكمجتمع للرحمة، تُعين الكنيسة الأشخاص ذوي الاحتياجات من خلال خدمتهم في احتياجاتهم الجسدية والروحية. الرحمة تشمل الإحسان، لكنها تمضي إلى ما هو أبعد، إذ تعني القيام بأعمال الإحسان بدافع قلب مفعم بالمحبة والاهتمام. ويجب أن يُنظر إلى المجتمع المسيحي على أنه جماعة من الناس الذين يحبون ويهتمون دون محاباة. وكما أحب الله كل إنسان في حالته الخاطئة، يُدعى الخاطئ المفدي لأن يحب دون قيد أو شرط (١ يوحنا ٤: ١٩).

تأمل ٤-٣

في جماعتك الجديدة، كيف ستحفز الرحمة في القلب والفعل؟ وكيف ستخلق بيئة يمكن أن تحفز الآخرين نحو المواقف والسلوكيات الروحية؟

الوحدة ٢: المسيحية التاريخية

الوحدة ٢: المسيحية التاريخية

هذا المقرر مخصص لتحديد المبادئ المثالية التي قد يحملها العهد الجديد فيما يتعلق بالروحانية. والفرضية الأساسية لهذا المسعى هي أنه إذا زُرعت بذرة ملكوت الله، فسوف تُثمر ثمرًا يعكس رؤية العهد الجديد للروحانية. لكن هذه الفرضية لن تكون ذات فائدة إلا إذا تحققت ثلاثة شروط. أولاً، أن يحتوي العهد الجديد على خطة للحصول على الروحانية. ثانيًا، أن تكون المبادئ التي تُعرّف الروحانية حصرية. وثالثًا، أن تكون وسائل الوصول إلى الروحانية صالحة لجميع الناس في كل العصور.

ما يظهر في العهد الجديد كنهج بسيط ليس هو القاعدة عبر التاريخ. فعندما أصبحت الممارسات الموجودة في الديانات الشرقية جذابة للمسيحيين، مالت الروحانية نحو التأمل. وعندما تم ابتكار وسائل خلاقة لجذب وتحفيز المهتدين من الديانات التقليدية، أصبح احترام الخرافة هو ما يحدد الروحانية. وحيثما فضّلت المسيحية النظام القانوني، ارتبطت الروحانية بالعقيدة الصحيحة والالتزام الدقيق بالطقوس. وحيثما ساد الطائفية، اكتسبت الروحانية طابع الموقف المميز للطائفة. وعندما يُحتفل بالروح القدس، غالبًا ما تنعكس الروحانية في الحركات الجسدية وممارسة المواهب الروحية. وحينما يسود الروح العلماني، لا تعرف الروحانية إلا حدود أفكار الشخص. وعندما تسود العقلانية، قد تصبح الروحانية مجرد خيال من صنع الشخص. وعندما يفشل كل شيء آخر، قد يلجأ المرء إلى الدير بحثًا عن الراحة.

في الحقيقة، للتاريخ طريقته في تقديم لحظات حاسمة للمسيحيين. وسيكون من المفيد التطرق إلى بعض التغييرات التي حدثت منذ القرن الأول. وتُعرض هذه هنا لأن معظم ما يعرفه الناس عن المسيحية يأتي من ملاحظاتهم للكنيسة التاريخية وليس من الكتاب المقدس. فإذا كان المرء يسعى إلى الروحانية، وكانت هذه الروحانية معرّفة بالكتاب المقدس، فلا ينبغي أن ينخدع فيظن أن كل ما يأتي تحت راية المسيحية هو روحي بالمعنى الحقيقي. والسؤال الجوهري أمامنا هو: هل تنتج المسيحية التاريخية تعريفًا موثوقًا للروحانية؟

إن استعراض تاريخ الكنيسة سيُظهر أنه عبر القرون ظهرت صور جديدة للكنيسة. وبعض هذه الصور ناتجة عن تغييرات حدثت في هيكل الكنيسة. فعلى سبيل المثال، طورت الكنيسة التاريخية نظام حكم معقد، وأصبحت مركزية، ومارست سلطة تنافس سلطة الدولة. وقد حلّت فكرة الوحي التدريجي، الذي منح رجال الدين حق تفسير وتحديد العقيدة، تدريجيًا محل فكرة أن وحي الله كان نهائيًا في كتابات الرسل. وهناك أيضًا التغييرات التي صاحبت التكيفات الثقافية. فعلى سبيل المثال، عندما تمتد الكنيسة التاريخية إلى ثقافات أخرى، تميل إلى تبني سمات المشهد الديني المحلي مما يؤدي إلى تسويات تمس الإيمان. ومرة أخرى، تؤثر الشخصيات البارزة على الكنيسة من خلال إدخال تغييرات جديدة على المواقف العقائدية. ومما يُؤسف له أن إعادة التفسير والإصرار على تعاليم جديدة يجلبان الانقسامات. وبالإضافة إلى تشويه صورة مجتمع المؤمنين كما صوّره العهد الجديد، يمكن أن ينخرط المسيحيون في جدالات داخلية ويرسلوا رسالة غير لائقة للعالم. والمقصود هو أنه ينبغي للمرء أن يكون حذرًا عند تفسير المسيحية من خلال سلوك مدّعيها. فالحقيقة تكمن في المبادئ المثالية الكتابية، لا في أخطاء البشر.

أ. الكنيسة الأولى

خلال الألف وخمسمئة عام الأولى من تاريخ الكنيسة، شهدت العقيدة والعبادة والبنية تغييرات كبيرة. قد تُعزى بعض هذه التغييرات إلى التفضيلات الثقافية. ومع ذلك، كان بعضها الآخر ذا شأن عظيم حتى بدا غريبًا وبعيدًا كل البعد عن طابع الكنيسة كما يعكسه العهد الجديد.

وأمر مهم يجب حسمه في ذهن الإنسان هو هذا: هل الكتاب المقدس هو السلطة النهائية في الأمور الروحية، أم أن الوحي "تدريجي"؟ وإذا كان الموقف هو أن الكتاب المقدس هو السلطة النهائية، قد تُطرح تساؤلات حول كيف يصبح الكتاب مقدسًا وذا سلطة: هل بتقديمه أنماطًا، أو أمثلة، أو اقتراحات، أو أوامر ثابتة لا تتغير؟ وإذا قبل المرء بفكرة الوحي التدريجي، سيبقى عليه أن يحدد مصدر تلك الإعلانات الجديدة: هل تأتي من خلال الكنيسة المؤسسة أم من خلال الأفراد؟ في كلتا الحالتين، تقل سلطة العهد الجديد ويتآكل المعيار. إن الطريق الأكثر أمانًا هو أن نستنتج، كما فعل كتّاب العهد الجديد، أن الوحي قد اكتمل؛ وأي وحي لاحق هو إما متناقض أو تكرار لما سبق.

في الكاثوليكية، تُرى الروحانية أساسًا في الرمزية الأسرارية، رغم أنها حاضرة أيضًا في الأساطير والانحرافات. وهذه مجرد طريقة واحدة حاول بها اللاهوت التاريخي إدخال عنصر الغموض إلى عالم الماديات. وعلى النقيض من ذلك، في الإسلام، استُبعد الله عن العالم وأصبح خاليًا من الصفات التي تمكّن الإنسان من لقاء روحي به. وهنا، يبقى الله مستبِدًّا يجب إطاعة إرادته قبل أن تُمنح النعمة.

تأمل ٤-٤

كيف يمكن تحريف الإنجيل؟ تشير مقاطع عديدة في العهد الجديد إلى نهائية الوحي. فعندما حذّر المؤمنين من الرجال الفجار الذين كانوا يبشرون بإنجيل فاسد، شجّع يهوذا المؤمنين على أن "يجتهدوا لأجل الإيمان الذي سُلّم مرة للقديسين" (يهوذا ١: ٣). وأعلن الرسول بولس أن أي إنجيل آخر غير الذي تسلمه من الله وبشر به هو إنجيل محرَّف. اقرأ غلاطية ١: ٦-١١. وغالبًا ما يكمن التحدي الأكبر ليس في التفسير، بل في التطبيق.

ب. الإصلاح

على الرغم من كونه ظاهرة غربية، إلا أن الإصلاح البروتستانتي قد وضع اتجاهًا لجزء كبير من المسيحية طوال نصف الألفية الماضية. وكان للإصلاح عدة اهتمامات قوية، من بينها تصورات حول كيفية تنظيم الكنيسة، وعقيدة الخلاص، ودور المسيحيين الأفراد.

ففي حين أن الكاثوليكية أصبحت منظمة بشكل مركزي من الأعلى إلى الأسفل ويرأسها بابا يستطيع، في مناسبات خاصة، أن يتكلم بسلطة مطلقة في أمور لا توجد في الكتاب المقدس، رأى البروتستانت أن الكنيسة هي جسد لا مركزي بلا رأس مشترك سوى المسيح، ويُستَقى إيمانه بشكل أساسي من الكتاب المقدس. وقد استُبدل التركيز على الذخائر، وصكوك الغفران، والأعمال ذات الاستحقاق بالتركيز على الخلاص بالنعمة والإيمان. ولم يستطع البروتستانت الاتفاق فيما بينهم على بعض الأمور، بما في ذلك طريقة المعمودية، وتنظيم الكنيسة، وحرية الإرادة البشرية. لكنهم اتفقوا على أن الإيمان وحده هو وسيلة الخلاص، وعلى كهنوت جميع المؤمنين.

يُظهر الإصلاح حاجة جميع المسيحيين إلى اليقظة المستمرة. فاليقظة مطلوبة لأن البشر يميلون إلى اعتبار إيمانهم أمرًا مفروغًا منه، ويميلون إلى تجاوز مقاصد الكتاب المقدس. ففي الحالة الأولى، قد يفقد المؤمنون حماس إيمانهم، أو يكلّوا تحت الاضطهاد، أو يصبحوا لا مبالين. وفي الحالة الثانية، قد يتأثر الفكر المسيحي بعوامل خارجية. ويؤدي رد الفعل تجاه هذه التأثيرات إلى تغييرات في المعتقد أو الممارسة.

وعند الحكم على المسيحية التاريخية، يجب أن نتذكر أن ما يظهر في بعض الفترات ما بعد الرسولية يمثل مزيجًا من العناصر البشرية والإلهية. أما بالنسبة للإيمان المسيحي نفسه، فنحن ملزمون بالحكم عليه بناءً على ما يقوله لنا الكتاب المقدس. فالتاريخ الكنسي يُطلعنا على كيفية تفسير البشر للكتاب المقدس وكيفية ممارستهم لإيمانهم. وهذا ما يفسر لماذا توجد وجوه عديدة للمسيحية. ويجوز للمرء أن يُقيّم الوجه التاريخي، ولكن بإنصاف، لا ينبغي الحكم على الصورة الكتابية بناءً على المظاهر البشرية. وبالنسبة لأمر مهم مثل الروحانية، يجب على المرء أن يتحقق من أن الجسد المسيحي الذي ينتمي إليه يمكنه أن يساعد في خلق وصياغة وتغذية إيمانه.

مصدر على الإنترنت

تأمل المورد التالي لمحة عامة عن عصر الإصلاح:

أوروبا الإصلاحية"، جامعة فوردهم، الكتاب الحديث لمصادر التاريخ على الإنترنت"

ج. العصر الحديث

إن العصر المعاصر يحتوي على عناصر مستمدة من جميع مراحل التاريخ. ومع استمرار ظهور الاتجاهات الجديدة

واختفائها، فإنها تشبه في مواقفها وممارساتها ما كان في الماضي. وإذا كان من المقرر السعي وراء المثال الكتابي، فيجب تقييم هذه الاتجاهات باستمرار.

خلال القرن الماضي، كان لحركة الخمسينية تأثير عميق على المسيحية، خاصة في إفريقيا وأمريكا الجنوبية. ويُرى أثرها الآن بطريقة خفية في الكنائس الكبرى في الولايات المتحدة. نشأت الخمسينية في زمن كان فيه الفكر العقلاني قد جرد الكنائس من روحانية حيوية. إنها تجذب أولئك الذين يحمل لهم العنصر العاطفي في الدين جاذبية قوية.

وعلى الرغم من أن الدراسات الكتابية الحديثة ركزت بقوة على فهم الكتاب المقدس في سياقه الأصلي، فإن الجمهور الديني العام يفضل الآن شكلاً من أشكال التقوى. يفضل الكثيرون التفاني القلبي، والتجارب الشخصية، والنقاء الأخلاقي، والأعمال الخيرية كرد فعل لما يرونه ديانة طقسية ودوغماتية. ولعل مزيجًا من العناصر الأساسية سيكون أكثر انسجامًا مع المسيحية كما يقدمها العهد الجديد. فالمبالغة في التركيز على عنصر واحد أو استبعاد أي من هذه العناصر (التقوى، نشاط العبادة، التعليم، أو الإحسان) سيُفقد الضوابط اللازمة لتعريف الروحانية الحقيقية والحفاظ عليها.

إن أمثلة الفروق بين كنيسة القرن الأول واليوم عديدة ولا حاجة لتفصيلها هنا. والمقصود في هذا القسم هو: لقد جلبت ألفا عام من تاريخ الكنيسة ابتكارات كبيرة إلى المجتمع المسيحي. ولا ينبغي للمرء أن يكتفي بالحكم على المسيحية بناءً على ما يراه في أي فرد مسيحي أو جماعة كنسية اليوم. يجب أن يكون الاحتكام النهائي إلى الكتاب المقدس لاستخلاص الرؤية الصحيحة للروحانية والطريقة التي ينبغي لجماعة مسيحية معاصرة أن تعززها بها.

إن إدارة المرء لروحانيته قد تصبح تحديًا. ومع هذا التنوع الكبير في الصفات الشخصية، من ذا الذي يستطيع أن يقول إن الروحانية تُعبَّر عنها بأسلوب واحد فقط؟ يختار بعض الناس التأمل المقرر، وآخرون يقومون بأعمال اللطف، وغيرهم يلبون احتياجات الآخرين. وقد يكون أن القيام بأي من هذه مع إهمال الآخر يُعد عملاً غير روحي. فعلى سبيل المثال، إذا قضى المرء وقتًا مفرطًا في التأمل وأهمل الفقراء، قد يُقوَّض ادعاؤه بالروحانية. ومن الواضح أن ارتكاب الشر ليس عملاً روحيًا. أما مساعدة المحتاجين، والتعامل بأمانة، والذهاب الميل الإضافي فهي كذلك. وما يمكن أن يجعل الفعل روحيًا أو غير روحي هو الدافع والنية.

إذا كان هناك أي خدمة يمكننا تقديمها، فالرجاء أن تطلبوا منا. نحن دائمًا على استعداد للمساعدة في أي احتياج روحي، فنحن رفقاء في الطريق، حريصون على أن يعين بعضنا بعضًا ونحن نسير في الطريق المؤدي إلى الحياة الأبدية.

الوحدة ٣: غرس كنيسة في العالم المعاصر

بافتراض مرة أخرى أن العهد الجديد يُعلِم الإنسان الروحانية الحقيقية، يجب على المرء أن يسعى لتحقيق مهمة الله للذين يفكرون بروحانية. وتشمل هذه المهمة نشر رسالة الإنجيل في عالم اليوم. وباستخدام صورة من الأناجيل، تُزرع بذرة ملكوت الله في قلوب بشرية متنوعة. وما ينبت وينمو يُنتج الإيمان. والذين يمتلكون هذا الإيمان يُشكّلون ملكوت الله (انظر متى ١٣: ١-٢٣). أما الكنيسة المحلية، فهي مجرد صورة مصغرة لذلك الملكوت — ملكوت الله.

إن مصطلح "غرس كنيسة" هو تعبير حديث، وليس تعبيرًا كتابيًا. لكنه يصف ظاهرة كتابية. فقد أوصى يسوع تلاميذه قائلًا: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (متى ٢٨: ١٩-٢٠). وقد وصف لوقا في سفر أعمال الرسل كيف نفذ تلاميذ يسوع هذه الوصية، مبتدئين من أورشليم. ومن أورشليم، حمل التلاميذ الإنجيل إلى ما حولها، ثم إلى السامرة، وأخيرًا إلى أنحاء العالم كافة.

يشير سفر أعمال الرسل إلى القصد الإلهي في أن يُنقل الإنجيل إلى العالم كله في كل جيل. فعندما يُكرز بالإنجيل، ينجذب الناس إلى محوره المركزي — يسوع المسيح. وعندما يصبح الشخص مسيحيًا، يصبح جزءًا من جسد المسيح. ويتألف هذا الجسد من جميع المؤمنين عبر الأزمان. ومع ذلك، يمكننا الحديث عن جسد محلي من المسيحيين، يجتمعون في مكان مادي

لعبادة الله وبنيان بعضهم البعض. وعندما لا يوجد مثل هذا الجسد، قد يصبح من الضروري أحيانًا تكوين مجتمع روحي نابض بالحياة في المنطقة المحلية.

فإذا كانت الروحانية الشخصية تقود إلى الارتباط بالآخرين في جسد المسيح، فإن الانضمام إلى جسد محلي حي من المؤمنين هو أمر صحي. فهو يوفر فرصة للتعليم والشركة والتشجيع. وهذه الترتيبات تقوم على التبادل. فجميع من في الجسد يستفيدون. يمكنهم أن يقووا بعضهم في أوقات الاضطهاد، ويربوا بعضهم في ما يتعلق بالمعركة الروحية التي تحيط بهم، ويصححوا البدع، ويخدموا احتياجات بعضهم الجسدية والعاطفية. أما المؤمنون الذين يعيشون في بلاد حرة فقد يجدون مثل هذا الجسد بسهولة. وأما الذين يعيشون في بلاد تُخضع المسيحية للمراقبة، فقد يضطرون إلى البحث عن جماعة صغيرة من المؤمنين تلبي هذه الحاجة أو حتى تأسيسها.

أ. إعلان الإنجيل الجوهري

قد يكون من الجرأة الحديث عن "الإنجيل الجوهري" بينما العهد الجديد يتحدث فقط عن "الإنجيل". فلا يمكن أن يكون هناك سوى إنجيل واحد، وأي انحراف عنه هو رسالة فاسدة. ومع ذلك، يكشف سفر أعمال الرسل ورسائل العهد الجديد أن بعض المسيحيين الأوائل أساؤوا فهم الإنجيل وأساؤوا تمثيله. فقد انشغل بعضهم بعناصر ثانوية وجعلوا منها نقاط جدل رئيسية. وأخفق آخرون في إدراك علاقة الإنجيل بشريعة موسى. بينما استخدم البعض الإنجيل لإنشاء أنظمة إيمان توفيقية. وفي الواقع، حتى النقاط الثانوية التي أثارت الجدل كانت في الحقيقة خارج جوهر الإنجيل ذاته. لكن للتأكيد على جوهر الإنجيل، نتحدث عن تلك العناصر التي تميّزه، والتي لا يمكن التساهل فيها.

العالم مليء بالأفكار التافهة، وكذلك العالم الديني. وهذا الوضع استمرار لما كان عليه الحال في القرن الأول من العصر المسيحي. إن الجذب والدفع بين الأفكار المتنافسة حول ما هو روحي وما ليس روحيًا يدعونا إلى الاجتهاد والتقييم الدقيق لكل رسالة تدّعي أنها الإنجيل. فلا يمكن أن تكون جميعها صحيحة. وحتى لو افترضنا موثوقية الكتاب المقدس، لا يمكننا أن نثق بشهادة البشر الذين يشوهونه بسهولة لأسباب متعددة. ولا ينبغي لنا أن نرفض شهادة الكتاب المقدس باستهتار لمجرد أن البشر يسيئون تمثيله أو لأننا لا نفهمه. إن الكتاب المقدس نفسه يشهد إلى الحاجة للتأمل الجاد. لذلك لا يمكننا أن نكون لا مبالين أو مفرطين في النقد لما نقرأه فيه.

تأمل ٤-٥

ما هو هدف الكرازة الكتابية؟ قال الرسول يوحنا: «لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح: هل هي من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم» (١ يوحنا ٤: ١). انظر ١ تيموثاوس ١: ٣-٧.

ب. تنظيم المؤمنين

عندما يصبح الإنسان مؤمنًا في عزلة أو يكون معروفًا لدى عدد قليل من المؤمنين المعزولين، فإن التصرف الصحيح هو السعي نحو تكوين مجتمع من المؤمنين — وهكذا تولد جماعة أو كنيسة. وباستخدام العهد الجديد كدليل، فإن العملية بسيطة إلى حد كبير. ووفقًا للعهد الجديد، فإن فعل المعمودية يُدخل الإنسان في جسد المسيح. ويتحد الشخص المعمّد على الفور مع باقي المؤمنين المعمّدين في أنحاء العالم، حتى وإن لم يكن يعرفهم شخصيًا. ولكن الجسد المحلي من المسيحيين يوفر فرصة للرعاية المباشرة، والعبادة الجماعية، والخدمة. كما يخلق ظرفًا يستطيع فيه المسيحيون العمل معًا وإظهار وحدتهم وسعيهم نحو القداسة.

إن الارتباط بالمؤمنين المحليين يشبه لقاء العائلة. فهؤلاء المؤمنون هم بالفعل جزء من عائلة الله. وعملية "تكوين جماعة محلية" هي نتيجة طبيعية لهذا اللقاء أكثر من كونها تأسيس كيان قانوني له لوائح. ولا يحتاج الأمر إلى إذن من أحد. ببساطة يبدأ المسيحيون في الاجتماع للعبادة والتشجيع. ومع مرور الوقت، ينبغي للجماعة أن تنمو عدديًا مع مشاركة المسيحيين للإنجيل مع الآخرين. وعندما يصبح هناك رجال ناضجون روحيًا، يمكن تعيينهم شيوخًا أو أساقفة ليرشدوا القطيع.

راجع الوحدة ١ أعلاه. اتبع عملية منظمة لتأسيس مجتمع يُمارَس فيه الإيمان، ويُعلن فيه الإنجيل، **:نشاط عند الاقتضاء** .ويُشجع فيه على القداسة، وتُقام فيه العبادة، وتُظهر فيه الرحمة، ويُشجع فيه القديسون

ومع الوقت، تقوم جماعة المؤمنين برسامة شيوخ للاعتناء بالقطيع وشمامسة للمساعدة في الأنشطة المختلفة. لكن هذه ليست الخطوة الأولى. الخطوة الأولى هي إيجاد الرابط المشترك، وتحديد متى وأين يجتمعون للعبادة والتشجيع. ثم يتفقون على .المهام ويبدؤون

ج. تنفيذ الوصية

الإنجيل هو "البشرى السارة" التي تعلن الفداء من الخطية في المسيح. وينال المسيحيون بركة الفداء عندما يستجيبون إيجابيًا لهذه الرسالة. وتدفعهم فرحة هذه البركة إلى مشاركة الإنجيل مع الآخرين. ومن خلال المشاركة بالكلمة والفعل، يتجلى الشاهد المسيحي في الحياة المتغيرة. ومن خلال توحيد أناس مختلفين في شركة المسيح، يستمر الإنجيل في تقديم شهادته في اللحم .والدم

يمتلئ قلب من وجد علاقة روحية مثمرة مع الله بحماس عظيم. والإيمان الذي يقود الإنسان إلى المسيح هو إيمان لا يخجل من .إعلان أن يسوع هو الرب أمام العالم، حتى وإن كان الحماس لله ينطوي على مخاطرات

لقد خرج المؤمنون الأوائل إلى الساحة العامة (انظر أعمال ٥: ٢٠). تعرّض بعضهم للاضطهاد، وتجاهل البعض، وسخر منهم البعض الآخر. ولكن إعلانهم الجريء قاد آخرين إلى الإيمان بالرسالة والاستجابة لدعوتها. وفي وجه النبذ والاضطهاد، .يتصرف المسيحي بدافع الاقتناع، لا بدافع الخوف. وهو يفعل ذلك واثقًا بأن الإيمان بالله سيحقق النصر في النهاية

وتختلف الوسائل التي ينقل بها الإنسان الإنجيل للآخرين من مكان إلى آخر، ومن شخص إلى آخر، ومن ظرف إلى آخر. وبدون خوف من إعلان الإيمان، يجب ألا يتعمد المرء إثارة الشكوك دون داعٍ. هناك أوقات يُنصح فيها بالتروّي. ولا ينبغي الاستسلام لخوف الإرهاب، بل للخوف المقدس. وينبغي أن تسود الحكمة والحصافة بقدر ما تسود الجرأة. فلا فضيلة في التصرف غير المسؤول. ولا ينبغي السعي إلى الاستشهاد، ولكن إن جاء، فليكن لمجد الله. وربما، حيث يُمنع الإعلان العلني، يجد المرء أماكن أكثر خصوصية. وعندما يصعب بدء الحديث عن المسيح، يمكن البحث عن فرص للإجابة على أسئلة .يطرحها الآخرون

لقد وصلت إلى نهاية الوحدة ٤. انتقل إلى الوحدة ٥. في نهاية الوحدة ٥، ستُجري اختبارًا متعدد الخيارات يغطي كلتا .الوحدتين

الوحدة ٥: الحياة الروحيَّة

في مناقشتنا السابقة، تعلَّمنا أنَّ الأخلاقيَّات العامَّة، من قِيَمٍ فطريَّةٍ ومجتمعيَّةٍ، تحمل الكثير من القِيَم المُشتركَة مع نظام القِيَم المسيحيّ. ومع ذلك، يكمن اختلافٌ جوهريٌّ في كلٍّ من **تعريف** نظام القِيَم المسيحيّ و**دوافعه**. وبما أنَّ الروحانيَّة مرتبطة بالمقدَّس والقداسة، فمن الطبيعي أن تكون الحياة الروحيَّة مؤسَّسة على الكائن المقدَّس، الذي حدَّدَ جوهر الروحانيَّة. بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ شخص الله وعمله الفدائيَّ يقدِّمان دافعًا فريدًا للسعي وراء هذه الروحانيَّة.

حياة المسيحيّ الروحيَّة هي انعكاسٌ لإيمانه، وهي تتشكَّل من قرارٍ واعٍ بأن يصبح تلميذًا ليسوع المسيح، ويقوّيها الله من خلال الروح القدس، وتشملُ السلوك الأخلاقيَّ والخدمة والعبادة.

تُصاغ حياة المسيحيّ الروحيَّة على سندان النشاط اليوميّ. فالمسيحيُّ لا يعيش خارج الصندوق البشريّ، بل داخله. ومع ذلك، فإنَّه يختلف عن الآخرين في كيفيَّة تعامله مع العالَم المُلزَم أن يعيش فيه. فهو يحمل جنسيَّة دولة معيَّنة، لكنَّه يحمل أيضًا جنسيَّة عُليا في السماء. هذا لا يعني أنْ يصبح معاديًا للمجتمع أو السياسة؛ بل أن يكون ولاؤه الأوَّل للخالق، وليس للمخلوق.

الإنسان الروحيُّ لا يتولَّى تنفيذ القانون بيديْه؛ بل يخضع للسلطة الزمنيَّة لأنَّه مُوصَى بذلك. ومع ذلك، يعمل المسيحيُّ من أجل بنيان مجتمعه، ويبذل جهدًا أكبر ليكون والدًا أفضل، ويعول أسرته، ويعمل بجدٍّ أكثر من الإنسان العادي ويستبدل التذمُّر بالقناعة في موقع العمل. ليس للإنسان الروحيّ ما يقلقه في القوانين المتعلِّقة بالجرائم ضدَّ الأشخاص أو الممتلكات، لأنَّه لا يملك في نفسه الدافع الذي يقود الإنسان الطبيعيَّ إلى النشاط الإجراميّ، فإيذاء الآخرين ضدُّ طبيعته، وهو يعمل من أجل الخير والمنفعة في كلِّ مكان يذهب إليه. والمعارضة التي يلقاها تكون إمَّا من أولئك الذين لا يفهمون طبيعة الإنسان الروحيّ، وإمَّا من أولئك الذين يجدون أنَّ أعمال الإنسان الروحيّ تتعارض مع نمط حياتهم الفاسد.

تفترض هذه الوحدة أنَّ الحياة الروحيَّة ليست حالة ساكنة، بل تتطلَّب إظهار أخلاقيَّات قائمة على أساسٍ إلهيّ، وخدمة روحيَّة تنفع الآخرين، وعبادة. فهل تودُّ مواصلة هذه المرحلة الأخيرة من الرحلة؟

الوحدة ١: الأخلاقيَّات

كونها جزءًا من الفكر الإنسانيّ، فإنَّ "الأخلاقيَّات" عِلْمٌ يعالج القِيَم الأخلاقيَّة في السلوك البشريّ. ولا يوجد في الكلمة ذاتها ما يشير إلى جانبٍ روحيّ، مع أنَّ فكرة "القِيَم" تظهر على أنَّها عنصر مرتبط بها. وعادةً ما يشير الحديث عن الأخلاقيَّات إلى المبادئ الأخلاقيَّة وقواعد السلوك من دون الإيتيان على ذكر مصدر هذه القواعد ولا الحكم عمَّا إذا كانت هذه القواعد بطبيعتها صالحة أو غير صالحة.

يُدعى المسيحيُّون إلى معيارٍ محدَّدٍ في الموقف والسلوك، ويستمدُّون نظامهم الأخلاقيَّ من طبيعة الله ومن الدعوة إلى علاقة عهدٍ معه. وقد يتطابق المعيار الأخلاقيُّ مع كثير ممَّا هو موجود في العالَم العلمانيّ، لأنَّ العالَم العلمانيَّ لا يخلو من تأثيرات العالَم الروحيّ. لكنَّ التشابه هنا محض الصدفة.

إنَّ عبارة "الأخلاقيَّات المسيحيَّة" هي تعبيرٌ مُصطنع لتعريف السلوك المُنتظَر. ومهما كان مشمولاً في هذا العِلْم، فهو مستمدٌّ من الكتاب المقدَّس. لكنَّ الكتاب المقدَّس نفسه لا يعالج الأخلاقيَّات على أنَّها موضوع موسوعيٌّ. فنحن نستمدُّ استنتاجاتنا من سياقاتٍ تُشكِّل هذا المفهوم، وهذه الاستنتاجات تُستقى أساسًا من مجموعة من المقاطع الكتابيَّة. فعلى سبيل المثال، أشار يسوع إلى أنَّ كلَّ الوحي الإلهيّ يقوم على وصيَّتَيْن هما: محبَّة الله ومحبَّة القريب (متَّى ٢٢: ٣٤–٤٠). وقد فصَّلَ يسوع تَبِعات هذا التصريح في عظته على الجبل (متَّى ٥–٧). والمعيار للسلوك الأخلاقيّ هو فكر المسيح (فيلبِّي ٢: ١–١١؛ كولوسِّي ٣–٤).

تصوغ الدول الديمقراطيَّة العلمانيَّة الحديثة معاييرها الأخلاقيَّة انطلاقًا من متطلَّبات مواطنيها، فيما تستمدُّ المجتمعات الإسلاميَّة هذه المعايير من الشريعة، أمَّا المجتمعات الشيوعيَّة فتعكس الفلسفة الاقتصاديَّة التي بُنيت عليها حكوماتها. وتتناول هذه الوحدة تطبيق الأخلاقيات على (أ) الحياة الشخصيَّة، و(ب) الحياة الأسريَّة، و(ج) الحياة المجتمعيَّة. ولا يتعلَّق الأمر هنا بإعادة بناء نظام المسيحيَّة التقليديَّة الفاشل، بل نسعى إلى معرفة كيف ينبغي للمؤمن بالمسيح أن يطبِّق منظورًا أخلاقيًّا في حياته.

مصدر على الإنترنت:

"What Is Ethics?" by Manuel Velasquez, Claire Andre, Thomas Shanks, and Michael J. Meyer, Santa Clara University

"ما هي الأخلاقيَّات؟" بقلم مانويل فيلازكيز، كلير أندريه، توماس شانكس، ومايكل ج. ماير، جامعة سانتا كلارا

أ. الحياة الشخصيَّة

المسيحيَّة هي أوّلاً وقبل كلِّ شيء، شخصيَّة. فإنَّها تتطلَّب من كلِّ فردٍ إقرارًا بالإيمان، وتفرض موقفًا داخليًّا يُشكِّل فيه الإنسان حياة روحيَّة. وتُظهر حياة المسيحيّ الخارجيَّة قداسةً داخليَّةً. فالمسيحيُّ متواضعٌ، ومتعاطفٌ مع الآخرين، ووديعٌ؛ وطاهرُ القلب، وصانعُ سلام، وشخصٌ لا يسعى للانتقام (متَّى ٥: ٣–١٠).

يميل البشر إلى قياس الصواب والخطأ من خلال النظر إلى الفعل ورؤية إذا ما كان يخدم الصالح العامَّ أو يُسيء إلى الشخص الآخر. وقد يُبرِّر المرء لنفسه أنَّ جسده ملكه الشخصيُّ، وأنَّ له الحرِّيَّة في أن يفعل به ما يشاء. أمَّا الوحي، فيقيس الصواب والخطأ على معيار المقدَّس أو القدُّوس. وهذا يعني أنَّ الجسد ذاته ليس ملكًا شخصيًّا، بل هو ملكٌ لله. فجسد المسيحيّ قد أصبح هيكلًا لله (١ كورنثوس ٣: ١٦–١٧).

وتُذكر بعض الصفات على أنَّها "ثمر الروح"، وتشمل: المحبَّة، والفرح، والسلام، وطول الأناة، واللطف، والصلاح، والأمانة، والوداعة، والتعفُّف أو ضبط النفس (غلاطية ٥: ٢٢–٢٣). ويُقابل هذا "الثمر" أعمال الطبيعة الخاطئة التي هي ضدُّ الروح من: "زنى، ونجاسة، ودعارة، وعبادة الأوثان، وسحر، وعداوة، وخصام، وغيرة، وغضب، وأنانيَّة، وانشقاق، وتحزُّب، وحسد،

وسُكْر، وعربدة وأمثالها" (غلاطية ٥: ١٩-٢١). وقد حثَّ الرسول بطرس قرّاءه قائلًا: "وَلِهَذَا عَيْنِهِ وَأَنْتُمْ بَاذِلُونَ كُلَّ اجْتِهَادٍ قَدِّمُوا فِي إِيمَانِكُمْ فَضِيلَةً، وَفِي الْفَضِيلَةِ مَعْرِفَةً، وَفِي الْمَعْرِفَةِ تَعَفُّفًا، وَفِي التَّعَفُّفِ صَبْرًا، وَفِي الصَّبْرِ تَقْوَى، وَفِي التَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً، وَفِي الْمَوَدَّةِ الأَخَوِيَّةِ مَحَبَّةً. لأَنَّ هَذِهِ إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُرَتْ، تُصَيِّرُكُمْ لاَ مُتَكَاسِلِينَ وَلاَ غَيْرَ مُثْمِرِينَ لِمَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢ بطرس ١: ٥-٨). وحتَّى المعاناة يُنظر إليها بموقفٍ مرفوع الرأس. فإذا كانت المعاناة نتيجة روحانيَّة الإنسان، فإنَّه يحتملها بصبر (١ بطرس ٣: ١٣-٢٢). افحصْ حياتكَ لترى ما هي التعديلات اللازمة في سعيكَ نحو الروحانيَّة.

ب. الحياة العائليَّة

أكثر مكانٍ مباشرٍ تتجلَّى فيه روحانيَّة الإنسان أو افتقاره إليها هو الأسرة. أمام الناس، قد ينجح الإنسان بالتظاهر بالروحانيَّة، ويُري الآخرين ما يريدهم هو أن يروه، لكنَّ عائلته تراه في أفضل أحواله وأسوئها.

تُنشئ العلاقات الحميمة مواقف لا نقابلها عادةً في الحياة العامَّة. لهذه المواقف جانبان: فهي تخصُّ العائلة، ولا تجبر المرء على الالتزام بتأدية العمل كما في الخارج. على سبيل المثال، لا يُضطرُّ الوالدان للتعامل مع الأطفال في العمل، بل يتعاملون معهم في المنزل، وعلاقة الزوج والزوجة بالشخصيَّات العامَّة تختلف اختلافًا كبيرًا عن علاقتهما بعضهما ببعض. أمَّا فيما يتعلَّق بالالتزام بأداء واجبات معيَّنة، فقد يكون الشخص مطالبًا في عمله بتأدية واجبات مزعجة. إنَّما في المنزل، يسهل عليه جدًّا رفض تأدية واجبات مماثلة. علاوةً على ذلك، يشعر المرء في المنزل بأنَّه غير مجبر على التظاهر.

ومن المفارقات أن يميل المرء إلى التعبير عن غضبه واستيائه وإحباطه أمام أفراد الأسرة أكثر ممَّا يعبّر عن ذلك أمام الأصدقاء أو الجيران أو عامَّة الناس. فأفراد الأسرة ليسوا عمومًا سببًا لإحباط المرء، ولا المُلامِين، بل الأشخاص الذين يُعتمَد عليهم لتوفير الدعم والمشورة والتشجيع. لن يكون الشخص الروحيُّ بمنأى عن هذا الصراع، بل سيعمل من منطلق مختلف.

إنَّ الإنجيل يدعو الإنسان إلى العيش في انسجام ووئام مع أسرته المصغَّرة. وهذا يشمل العلاقات مع الوالدَيْن والأبناء. بالنسبة إلى الوالدَين، يشمل ذلك إعالة أبنائهما. فالأب الذي لا يعتني بأهل بيته هُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ. (1 تيموثاوس ٥: ٨).

تُقارَن العلاقة بين الزوج والزوجة الروحيَّيْن بعلاقة المسيح والكنيسة. فالزوج يحبُّ زوجته محبَّةً لا تعرف الأنانيَّة، والزوجة تحترم زوجها دون قيد أو شرط (أفسس ٥: ٢٢-٣٢؛ انظرْ ١ بطرس ٣: ٧). حتَّى في العلاقة التي تُؤمن فيها الزوجة والزوج لا يؤمن، ينبغي للزوجة أن تتصرَّف بمسؤوليَّة بهدف قيادة الزوج إلى السعي الروحيّ (١ بطرس ٣: ١-٦).

أما بالنسبة إلى الأبناء، فإنَّهم يمارسون الروحانيَّة باحترامهم لوالدَيْهم (أفسس ٦: ١-٣). في المقابل، يرشد الأب الروحيُّ أبناءه ويوجّههم، ويُربّيهم بتأديب الربِّ (أفسس ٦: ٤).

تأمُّل ٥-١:

قارنِ المواقف السائدة في ثقافتك بتلك الواردة في النصِّ الكتابي، أفسس ٥: ٢٢-٦: ٤.

ج. الحياة المجتمعيَّة

يُحدِّد الإنجيل أيضًا كيفيَّة تعاملنا مع مَنْ حولنا في المجتمع الأوسع – مع الموظَّفين أو أصحاب العمل ومع الحكومة. يسعى العالم الطبيعيُّ أوَّلًا إلى طلب أساسيَّات الحياة، ثمَّ يُضيف إليها الملذَّات. غالبًا ما يجد الإنسان العاديُّ نفسه في عالمٍ يحكمه الجشع والطمع وأصحاب الأراضي المتسلِّطون. الإنسان الروحيُّ لا يستسلم لهذه الضغوط، بل يتأكَّد من ثبات مساره ويتَّخذ الاحتياطات التي تحمي شهادته وتأثيره، حتَّى تحت الضغوط.

الإنسان الروحيُّ "غريبٌ" في العالَم. هو نفسه جزء من الكون المادِّيّ، وعليه أن يعمل ويأكل ويتعلَّم وينشئ أسرة، ويخصِّص وقتًا للاسترخاء والتأمُّل، ويجد غذاءً روحيًّا. لكنَّه في الحقيقة، "غريبٌ" عن عالمٍ تُحدِّده شهوات الجسد. وبالتالي، لن يعكس سلوك الإنسان الروحيّ معايير الإنسان الطبيعيّ. ولن ينخرط في السلوك الشرّير الذي يلاحظه في أولئك الذين تدفعهم الأنانيَّة والجشع والسلطة. الإنسان الروحيُّ يعيش في انسجامٍ ووئام مع الآخرين، وهو متعاطف ورحيم ومتواضع، لا يُقابل الشرَّ بالشرّ، ولا الإهانة بالإهانة، بل يقابل الإهانة بالبركة (1 بطرس 3: 8-9).

قال الرسول بطرس لمَنْ يعيشون في علاقة روحيَّة مع الله: "وَإِنْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَبًا الَّذِي يَحْكُمُ بِغَيْرِ مُحَابَاةٍ حَسَبَ عَمَلِ كُلِّ وَاحِدٍ، فَسِيرُوا زَمَانَ غُرْبَتِكُمْ بِخَوْفٍ، عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ" (1 بطرس 1: 17-18).

ويقولُ مجدَّدًا: "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ كَغُرَبَاءَ وَنُزَلاَءَ أَنْ تَمْتَنِعُوا عَنِ الشَّهَوَاتِ الْجَسَدِيَّةِ الَّتِي تُحَارِبُ النَّفْسَ، وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرٍّ يُمَجِّدُونَ اللهَ فِي يَوْمِ الاِفْتِقَادِ، مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُلاَحِظُونَهَا" (1 بطرس 2: 11-12).

الوحدة ٢: العبادة

عندما يدخل الإنسان في علاقة عهدٍ مع الله، فإنَّه يتمتَّع بالحقوق والبركات الناتجة عن تلك العلاقة، ويغمره الشعور بجلال الله، كما هو متوقَّع، فينخرط المؤمنون في نشاطٍ تعبُّديّ. قد لا يدركون الأثر الكامل لذلك في البداية، لكنَّهم يتعلَّمون سريعًا لغة الصلاة، وقيمة الترانيم، وفرح التسبيح، وينجذبون إلى المقدَّس لأنَّهم نالوا الفداء، ويسبّحون الله، ويقدّمون له الشكر، ويُظهرون

التواضع، ويعكسون طبيعة الله في شخصيَّاتهم. هذه التجربة ليست "صوفيَّة" أو "من عالَمٍ آخر"، ولا يشعرون فيها بالتفوُّق على الآخرين — بل يشعرون فقط بالرهبة، والامتنان، والمحبَّة.

تُشتقُّ كلمة "العبادة" من كلمة تحمل فكرة "القيمة" أو "الاستحقاق". فهي لا تعترف فقط بقوَّة أعظم، بل تُقرُّ بالقيمة الجوهريَّة التي تخصُّ الخالق. ونتيجةً لذلك، تتطلَّب العبادة موضوعًا صحيحًا للعبادة، وتركِّز على تبجيل ذاك الذي هو أعظم. وتشمل العبادة التوقير والإجلال، لكنَّ التوقير والإجلال هنا موجَّهان بشكلٍ محدَّد. فالعبادة ليست فكرة مجرَّدة.

ليست العبادة كلمة عاديَّة. وينبغي عدم الخلط بينها وبين الاستخدام الشائع لكلمة "رائع" عند الإشارة إلى عملٍ جميلٍ. فللعبادة معنًى يفهمه فقط الإنسان الروحيُّ الذي يخضع لله بتواضعٍ. ومقياس ذلك الخضوع لا يكون فقط في حفظ الوصايا، بل في تشرُّب روح الآب الروحيّ. فالوصيَّتان العُظمَيان في شريعة موسى وطريق المسيح هما الوصيَّتان نفسهما: محبَّة الله من كلِّ القلب ومحبَّة القريب كنفسكَ. ولا تكون العبادة الروحيَّة ممكنة عند غياب هذَيْن العنصرَيْن.

للعبادة مضمون وشكل. يتعلَّق المضمون بمفهوم الله، وعمل الله في المسيح، والفداء. أمَّا الشكل فيتعلَّق بالتضرُّع، والتسبيح، والشكر، والرثاء، والتعليم، والخدمة. ويقدِّم المسيحيُّ عبادته لله من خلال يسوع المسيح. وتشير هذه النقطة الأخيرة إلى أنَّه، وفق الكتاب المقدَّس، فإنَّ العلاقة الروحيَّة مع الله لا تكون ممكنة إلَّا من خلال يسوع المسيح. فيسوع هو الوسيلة التي بها يكون الفداء ممكنًا.

تتناول هذه الوحدة ثلاثة مواضيع: (أ) الموقف والسلوك، (ب) التعبُّد الشخصيُّ، و(ج) العبادة الجماعيَّة. كلُّ موضوعٍ منها مرتبط بالمواضيع الأخرى. فالموقف والسلوك شرطان ليقبلَ الله العبادة الفرديَّة والعبادة الجماعيَّة على حدٍّ سواء. ولا يمكن أن تحلَّ العبادة الشخصيَّة محلَّ الحاجة إلى العبادة الجماعيَّة، كما لا يمكن أن تحلَّ العبادة الجماعيَّة محلَّ التعبُّد الشخصيّ، بل تتناغمان معًا لتُنتجا سيمفونيَّةً روحيَّةً.

أ. الموقف والسلوك

تتضمَّن العبادة طقوسًا، لكنَّها أكثر من مجرَّد أفعال خارجيَّة، إذ يجب أن يشعر مَنْ يعبد الله بإحساس القداسة (انظرْ الوحدة ٢) وأن يقترب إلى الله بخشوع. فالعبادة ليست تمرينًا تافهًا، ولا عملًا يخلو من الاحترام تجاه موضوع العبادة، بل تتطلَّب سلوكًا يليق بالمناسبة. فالمناسبة — سواء كانت شكرًا، أو تسبيحًا، أو رثاءً، أو شركة، أو غيرها — تحدِّد الطابع العام للبيئة. لكنَّ القلب المنكسر مطلوب في كلِّ المناسبات.

وقد شُبِّهت الكنيسة بالمستشفى — مكان للمرضى روحيًّا. ويهدف هذا التشبيه إلى إيصال فكرة أنَّ الذين يأتون للعبادة ما زالوا خطاة — وإن كانوا خطاة مخلَّصين. وهذا صحيح إلى حدٍّ ما. فلا أحد كامل في الفكر أو الفعل، ولو استبعدنا الخاطئ من الجماعة لاستبعدنا الجميع. من ناحيةٍ أخرى، فإنَّ دعوة الله هي دعوة للقداسة. فعلينا أن نعترف بخطايانا أمام الله، لكن هذا لا يعني أنَّه مسموح لنا أن نترك خطايانا بلا اعتراف، أو أن نجد الراحة في أسلوب حياة شرّير. ومن غير المعقول أن يقترب المسيحيُّ إلى الله وهو "غير مخلَّص". بل يحتفل المؤمن بحياته الجديدة؛ وروحه مملوَّة فرحًا.

وتعتمد العبادة على محبَّة الآخرين. فقد علَّم يسوع أنَّه إذا اقترب أحدٌ للعبادة، وتذكَّر أنَّ لأخيه شيئًا عليه، فيجب أن يصطلح مع أخيه قبل أن يقدِّم عبادته، لأنَّ غفراننا مرتبط بغفراننا لإخوتنا (متَّى ٥: ٢١-٢٤؛ ٦: ١٢-١٥). فلا أحد يستطيع أن يدَّعي أنَّه يحبُّ الله وهو يبغض أخاه (١ يوحنَّا ٢: ٩-١١)، ولا أن يستمرَّ في السلوك الخاطئ ويتوقَّع أن يتجاهل الله أسلوب حياتنا المهمل (١ يوحنا ١: ٥-٧). فالعبادة الحقيقيَّة تعتمد على الموقف والسلوك الصحيحَيْن.

ب. التعبُّد الشخصيُّ

لا تُقامُ كلُّ عبادة في مكانٍ عامٍّ. صحيح أنَّ العبادة العامَّة غالبًا ما تُقام في مجتمع مع آخرين، بكن يجب أن تكون العبادة شأنًا خاصًّا أيضًا. فالخلوة مع الله علامة من علامات الروحانيَّة، وهي وسيلة لتكريم الله، وطريقة لإظهار اتكالنا عليه، ودليل على طبيعة العلاقة بين المفدي والله، ويسهم في الصحَّة الشخصيَّة. والتعبُّد الشخصيُّ ليس وصيَّة من الواجب طاعتها، بل امتياز من الواجب التمتُّع به. وينبع الدافع من خبرة الإنسان مع العالَم الروحيّ.

قد يقضي الإنسان خلوته مع الله في التأمُّل، أو الصوم، أو القراءة، أو الصلاة. وقد تتمُّ هذه الأفعال من دون أن يلاحظها الآخرون — ويجب أن يكون الأمر كذلك. فقد حذَّر يسوع نفسه من أداء الصدقات أمام الناس لكسب مدحهم، ومن تلاوة الصلوات في الشوارع لمجرَّد إظهار مدى التديُّن، ومن الصوم لمجرَّد الاستعراض أمام الناس (متَّى ٦: ١-١٨).

كيفيَّة الخلوة مع الآب وتوقيتها أمران متروكان للتفضيلات الشخصيَّة. فالالتزامات البشريَّة تملي علينا أوقاتًا وأماكن مناسبة للتأمُّل، والله يفهم أنَّ لدينا واجبات نؤدِّيها، لأنَّه خلقنا كائنات ماديَّة، فعلينا أن نأكل، وننام، ونعمل، ونهتمَّ بأُسَرِنا، ونساعد المحتاجين. وينبغي ألَّا نشعر بالذنب لدى ممارسة هذه الأمور الدنيويَّة، لأنَّها لا تنتقص بالضرورة من الروحانيَّة.

ومن المفيد تحديد روتينٍ معيَّنٍ لأنَّه يُنشئ نمطًا يقلِّل من الملهيات، فالروتين يمنع الإنسان من "نسيان" العبادة أو التراخي في السعي الروحيّ. لكنَّ الله لم يحدِّد أوقاتًا معيَّنة للصلاة أو الصوم، إذ إنَّ الأوقات المحدَّدة قد تعمل ضدَّ حرِّيَّة التعبُّد، وتنشئ مظاهر علنيَّة، وتميل لجعل العمل طقسيًا. الصلاة يجب أن تكون في كلِّ حين، أمَّا الصوم فقرار شخصيٌّ. ولكلِّ شخص الحقُّ في أن يقرِّر بشأن خلوته مع الله.

ج. العبادة العامَّة

لا بديل عن العبادة العامَّة — أي العبادة المشتركة مع مؤمنين آخرين. فقد كان المؤمنون الأوائل يجتمعون أحيانًا يوميًّا، ولكن على الأقلِّ في أوَّل كلِّ أسبوع (الأحد). وأحيانًا كانت الاجتماعات مخصَّصة للصلاة (أعمال ١٢:١٢). لكنَّ الاجتماع الأسبوعيَّ العامَّ كان يتركَّز على المشاركة في وجبة رمزيَّة مشتركة لإحياء ذكرى موت المسيح وقيامته (انظرْ أعمال ٢٠: ٧).

الجوُّ العامُّ:

يمكننا فقط أن نخمِّن ما كان عليه جوُّ كنيسة القرن الأوَّل. ونظرًا لطبيعة الاجتماع، فلا بدَّ من أنَّ العبادة كانت وقورة (انظرْ أعمال ٢: ٤٢–٤٧؛ ٤: ٣١). وحتَّى اليوم، يجب أن تتمَّ الأنشطة بين المؤمنين بشكلٍ لائقٍ ومنظَّم (١ كورنثوس ١٤: ٤٠).

العناصر:

لا يضمُّ العهد الجديد "ترتيب عبادة" محدَّد. لكنَّه يوفِّر نظرة على أنواع الأنشطة التي تكوِّن العبادة العامَّة. كان محور العبادة في كنيسة القرن الأوَّل هو مائدة الرب. فقد أسَّس المسيح هذه الشركة مع تلاميذه قبل موته في وليمة الفصح (متَّى ٢٦: ١٧–٢٩). وجعل المسيحيُّون الأوائل هذه الشركة جزءًا من عبادتهم الأسبوعيَّة كما يبدو (أعمال ٢٠: ٧). وكانت الوجبة بسيطة، تتألَّف من خبزٍ وعصير كرمة (نبيذ أو عصير عنب). فالخبز (ربَّما فطير) يمثِّل جسد المسيح؛ والخمر يمثِّل دمه (انظرْ ١ كورنثوس ١١: ٢٣–٢٦).

وكان الترنيم جزءًا من نشاط الجماعة عند اجتماعهم للعبادة. ولعلَّ الترانيم كانت أشبه بالإنشاد منها بالكلمات الملحَّنة كما هو شائع اليوم. ولم يكن الأهمَّ تلحين الكلمات، بل مضمونها. وقد وصفها بولس بأنَّها "مَزَامِير وَتَسَابِيح وَأَغَانِي رُوحِيَّة". وفي السياق الأوسع، يوصَف سلوك الإنسان الروحيّ بأنَّه مملوء بالروح. وغرض الترنيم هو البنيان المتبادل وتسبيح الله (أفسس ٥: ١٨–٢٠؛ كولوسي ٣: ١٦–١٧). ولرؤية وصفٍ لعبادة قائمة على التسبيح، انظرْ رؤيا ٤–٥.

والصلاة عنصر آخر مهمٌّ في العبادة. فقد علَّم يسوع تلاميذه كيفيَّة الصلاة ومضمونها عبر تقديم نموذج بسيط (متَّى ٦: ٥–١٥). ويمكن تعلُّم الكثير من صلوات بولس، مثل تلك الواردة في كولوسِّي ١: ٩–١٤.

وتدخل التقدمات الماليَّة تحت مظلَّة العبادة — ليس لأنَّ الله يحتاج إلى أموالنا، بل لأنَّ هناك آخرين في احتياج. وبالتأكيد، يمكن استخدام التبرُّعات الماليَّة لنفقات الخدمة اللازمة، لكنَّ الغرض الأساسيَّ للعطاء في العهد الجديد كان للإغاثة الإنسانيَّة، مع أنَّ بولس أيَّد حقَّ الذين يكرِّسون وقتهم للبشارة في الدعم (١ كورنثوس ٩: ٩–١٢). والمقدار متروك للفرد ولله. على المرء أن يعطي بحرِّيَّة، وفق ما أنعم الله عليه وكما يقرِّر في قلبه (٢ كورنثوس ٨–٩). الإنسان غير الروحيّ يعطي ليجني فائدة تفوق عمله؛ أمَّا الروحي فيعطي تعبيرًا عن امتنانه وشكره لمحبَّة الله.

وبما أنَّ اجتماع العبادة يتيح للناس فرصة معرفة الله بصورة أوضح، فمن المناسب تقديم تعليم ونُصْح. وقد يكون التقديم رسميًّا أو غير رسميٍّ اعتمادًا على الظروف وقدرة المتكلِّم.

ومن منظور العهد الجديد، فإنَّ خدمات العبادة جماعيَّة. ويمكن لأيِّ عضوٍ في الجماعة من الرجال قيادة الخدمة، على أن يشارك الآخرون بطرقٍ مناسبة.

الوحدة ٣: العملُ الروحيُّ

الروحانيَّة أكثر من مجرَّد ميولٍ داخليَّةٍ. صحيح أنَّ الأفكار والمشاعر والمواقف الداخليَّة جزء من الروحانيَّة، لكنَّ الأفعال تكشف بالتأكيد عن حالة القلب. ما لم يتعمَّد الإنسان إخفاء مشاعره الحقيقيَّة، فإنَّ كلماته أو أفعاله ستكون متَّسقة ومتوافقة مع ما في قلبه. فعلى سبيل المثال، إذا كان الشخص متحيِّزًا ضدَّ آخر، فمن المحتمل أن يتحدَّث أو يتصرَّف بطريقة تفضيليَّة. ومن ناحية أخرى، إذا كان متعاطفًا مع قضيَّة ما، فمن المحتمل أن يدعمها.

سيكون من النفاق أن يفكِّر الإنسان بطريقة ويتصرَّف بطريقة أخرى. فالإنسان الروحيُّ صادق، ومستقيم ونزيه. لذلك، يكشف المظهر الخارجيُّ عن الشخص الحقيقيّ. وإذا كان الشخص حقيقيًّا، فسوف يقوم بأعمالٍ تتوافق مع قناعاته. ومع ذلك، فإنَّ هذا لا يعني أنَّ الإنسان ملزم بأن يكشف كلَّ سرٍّ من أسرار قلبه، إذ من المفضَّل ألَّا تُنشَر بعض الأسرار. ووصيَّة الاعتراف بالخطايا بعضكم لبعض لا تتطلَّب بالضرورة الكشف الكامل عن جميع تحفُّظات المرء، وبخاصَّة إذا كان الكشف لن يؤدِّي إلَّا إلى نتائج سلبيَّة فقط. تبقى بعض الصراعات شخصيَّة، وهذا لا يعني أنَّ الإنسان ذو وجهَيْن، بل أنَّنا نظلُّ أفرادًا مسؤولين أمام الله عن أفكارنا وأفعالنا.

إنَّ الديانة الحقيقيَّة — أي الروحانيَّة الحقيقيَّة — تفرض الخدمة لمصلحة الآخرين. ويندفع أتباع المسيح لخدمة الآخرين بسبب بركات الله الروحيَّة والجسديَّة. وتكون هذه الخدمة بروح التواضع والإيثار، وتشمل مشاركة الوقت والموارد، وتتضمَّن موقفًا إيجابيًّا تجاه المهمَّة وحساسيَّة تجاه الأشخاص الذين نخدمهم.

إنَّ خدمة مصالح الآخرين تبيِّنُ بصورةٍ ملموسةٍ الطابع الحقيقيَّ لروحانيَّة الإنسان. ومن الطبيعي، عندما يتوقَّف الإنسان عن عمل الخير لمصلحة الآخرين، أن يميل إلى الالتهاء بأمور العالَم، وإلى تبنّي موقف نقديّ تجاه سلوك الآخرين. وفي النهاية، لا تُلبَّى احتياجات الآخرين، ويتضرَّر الشخص الذي كان ينبغي أن يكون معطاءً أيضًا. هناك توازن بالطبع، فلا يمكن أن يهمل المرء صحَّته أو مسؤوليَّاته خلال قيامه بالخدمة.

أ. خدمة الآخرين

من منظور العهد الجديد، تُعدُّ "الخدمة" جزءًا عاديًّا ومتوقَّعًا من الحياة الروحيَّة. وفي هذا السياق، تعني الخدمة "العطاء" أو "الخدمة باسم يسوع المسيح". وفقط في العصور الحديثة أصبحت "الخدمة" حكرًا على رجال الدين. أمَّا في حالتها المثاليَّة، فكلُّ مسيحيٍّ هو خادم ليسوع المسيح. تنبع الفكرة من العلاقة التي فيها يكون يسوع هو الربُّ والمسيحيُّون هم خدَّامه. أن يكون الإنسان خادمًا ليسوع لا يعني أنَّه يحتاج إلى عطيَّة مادِّيَّة معيَّنة. بل إنَّ خدمة المسيح هي في تلبية احتياجات الآخرين. ولا توجد درجات لهذه الخدمة، فإعطاء كوب ماء قد يكون عطيّة تساوي في قيمتها التبرُّع بمبلغٍ كبيرٍ من المال.

تنمو الخدمة من محبَّة الله (يوحنَّا ٣: ١٦). وأولى الاستجابات للمحبَّة الإلهيَّة هي محبَّة الله بالمقابل (متَّى ٢٢: ٣٤-٤٠). وتنعكس محبَّة الإنسان لله في طريقة تعامله مع الآخرين (١ يوحنَّا ٣: ١١-٢٠). وقد لا يكون هؤلاء الآخرون من المؤمنين فقط، لكنَّهم يظلُّون محور العمل الخيريّ. وعندما ينضمُّ الناس إلى جسد المسيح، يصبحون واحدًا مع المسيح روحيًّا، ويجب معاملتهم بالاهتمام والاحترام. فقد تصبح احتياجاتهم هي احتياجاتي.

وفي الخدمة يلتقي المقدَّس بالدنيويّ. جاء يسوع ليخدم، وأتباعه يفعلون المثل. وقد تعرَّض يسوع للاضطهاد بسبب خدمته، ويجب أن يتوقَّع أتباعه الشيء نفسه. لا يفهم النظام العالميُّ هذه الصفة الإلهيَّة. ففي العالَم، يدافع الإنسان عن كرامته، أمَّا في المسيح، فلا كرامة خارج العلاقة مع الله بالمسيح. ولا تحتاج هذه الكرامة إلى أن يُدافع عنها بالقوَّة، بل تثبت بقيمتها الذاتيَّة. والدافع نقيٌّ، لأنَّه نابع من العلاقة بالله.

والمثال الأسمى لخدمتنا هو يسوع، الذي مع كونه الله، فقد بذل نفسه طوعًا. وخدم بطرق عدَّة: أظهر الرحمة للمنبوذين، وعاملَ الناس بعدلٍ، وشفى المرضى، وعلَّم عن الله. وكانت خدمته الأعظم هي فداء البشريَّة بموته على الصليب من أجل خطاياهم. ويجد أتباعه طرقًا لإظهار هذا المستوى من المحبَّة من خلال أخذ تعاليمه على محمل الجدِّ واتِّباع مثاله.

في السعي وراء الروحانية، يركِّز الإنسان على ارتباطه الشخصيّ بالمقدَّس. فالتطهير الشخصيُّ والحياة المقدَّسة هما الأساس. لكنَّ الإيمان يكتمل في خدمة الآخرين. اقرأْ وتأمَّلْ متَّى ٢٥: ٣١-٤٦ وفيلبِّي ٢: ٥-١١.

ب. أين ينبغي أن تقوم الخدمة؟

تقوم الخدمة أينما وُجِدَتْ الحاجة وتوفَّرت الفرصة. وبالمعنى الواسع للكلمة، "الخدمة" هي شأن كلِّ مسيحيٍّ. ومع أنَّ العهد الجديد يعترف بوجود خدمات خاصَّة مثل تلك التي تخصُّ الشيوخ والشمامسة، فإنَّه يقدِّم صورة لكنيسة أعضاؤها مشغولون بخدمة احتياجات الآخرين. وكما هو الحال مع جميع البشر، لم يستجب الجميع كما ينبغي. فبعضهم قدَّم المال تحت زعم أنَّه أعطى أكثر (حنانيَّا وسفِّيرة، أعمال ٥: ١-١١). وبعضهم بشَّر بدوافع أنانيَّة (فيلبِّي ١: ١٧). لكنَّ ذوي العقول الروحيَّة قدَّموا بلا أنانيَّة وكرزوا بأمانة.

ويوضِّح مثل يسوع عن السامريّ الصالح المبدأ القائل أنَّ المؤمن يخدم المحتاج، بغضِّ النظر عن مشاغله الشخصيَّة أو عن الوضع الاجتماعيّ أو العرقيّ للشخص الآخر. ويُظهر المثل أنَّ الخدمة في الظروف الإنسانيَّة هي الروحانيَّة قيد التطبيق. ولا تبرِّر الأعذار القائمة على التحيُّز أو توقيت غير مناسب تجنُّب هذا التعبير الأساسيّ عن الروحانيَّة. فالروحانيَّة تشمل التأمُّل الشخصيَّ والانخراط في الطقوس الدينيَّة، لكنَّها تشمل أيضًا عمل الخير للآخرين. اقرأ لوقا ١٠: ٢٥-٣٧.

والخدمة مستمرَّة. فتعليم الآخرين عن المسيح والكتاب المقدَّس، والقيادة في العبادة، والاعتناء بالآخرين، كلُّها جزء من الحياة الروحيَّة. ويعمل المسيحيُّون الخير للجميع، بما في ذلك أولئك الذين يسيئون إليهم. وهذا يرفع الخدمة المسيحيَّة فوق تلك التي

تعلن أنَّ الخير يجب أن يُعمل فقط للمؤمنين بالله. ومن ثمَّ، فالخدمة أسلوب حياة أكثر من كونها منصبًا. وبعض الخدمات الأكثر تأثيرًا تكون خفيَّة عن مرأى الناس؛ وتحدث أينما وُجدَتْ الفرصة.

تأمُّل ٥–٢

قدِّم ثلاثة أمثلة توضِّح كيف يمكن أن يظنَّ الإنسان نفسه روحيًا، ويتصرَّف بطريقة غير روحيَّة. تتناول رسالة يعقوب المسيحيّين الذين يظنُّون أنَّ الروحانيَّة مسألة أن يتمنَّى المرء الخير للناس ثمَّ ينصرف إلى شؤونه الخاصَّة. انظرْ يعقوب ٢: ١٤–١٩. إذ يوضِّح يعقوب الفرق بين الذي يدعو نفسه روحيًّا من دون عمل، وبين الذي يسلك فعليًّا في طريق الروحانيَّة.

ج. متى يجب أن تتمَّ الخدمة؟ وكيف؟

ما يُحفِّز الإنسانَ الروحيَّ هي محبَّة الله. فكما أحبَّه الله، يحبُّ هو الآخرين. لم يعد ينظر إلى مصالحه الأنانيَّة، بل إلى مصالح الآخرين. ومن خلال الدافع الصحيح، يبدأ المؤمن بالبحث عن فرص للخدمة. لا يُدير وجهه عن احتياجات البشر، ولا يحجب المساعدة حتَّى عن عدوٍّ. ويستخدم حكمه البشريَّ في تحديد متى يخدم وكيف. فميوله وموارده وتدريبه ومهاراته ستحدِّد الطريقة التي ينفِّذ بها خدمته.

وقد تكون الخدمة عفويَّة أو مخطَّطًا لها. فالكثير ممَّا يفعله الإنسان لمساعدة غيره يكون عفويًّا. ويحدث عندما تُثار المشاعر الروحيَّة في مواجهة كارثة طبيعيَّة أو أزمة في حياة القريب. انظرْ أعمال ٤: ٣٢–٣٤.

وقد تحدث بعض الأعمال الخدميَّة وفق جدولٍ مستمرٍّ. وقد تنشأ هذه من احتياجات مزمنة ناجمة عن أزمة، أو قد ينفِّذ الإنسان خطَّة مقصودة للخدمة من خلال قيادة الآخرين في مسيرتهم الروحيَّة بالتعليم أو المشورة. وتُنظَّم الخدمة بشكلٍ أفضل عندما تشمل عددًا كبيرًا من الناس أو عندما تستمرُّ لفترة طويلة.

وينبغي ألا تنحدر الخدمة المسيحيَّة لتصبح نشاطًا روتينيًّا، وألَّا تُمارَس كواجب ثقيل أو بمرارة. فالإنسان الروحيُّ يعمل لأنَّ العمل هو الأمر الصحيح، ولأنَّه خادم الملك.

أما فيما يتعلَّق بالكنيسة ككلٍّ، فبعض الأعمال الخدميَّة محدَّدة، وبعض الأدوار، مثل أدوار الشيوخ والشمامسة، تتطلَّب صفات تناسب هذه المراكز. ومن المثير للاهتمام أنَّ من صفات الشيخ أن يخدم لا عن اضطرار، بل بالاختيار. وينبغي ألَّا يكون "كَمَنْ يَسُودُ" على القطيع، بل أن يكون خادمًا (١ بطرس ٥: ١–٤).

الخاتمة

فيما يتعلَّق بهذا المقرَّر، باستثناء بعض التقديمات، نكون قد وصلنا الآن إلى نهاية رحلتنا. ولعلَّ أسئلة كثيرة ما تزال قائمة حول ما رأيناه أو لم نره في الطريق. وهذا كما يجب أن يكون، فالسعي نحو الروحانيَّة يشبه أيَّ رحلة. لا تفوِّت فرصة مشاركة تجربتك مع الآخرين. ومع ذلك، قد لا يشارك جمهورك حماستك الشخصيَّة ذاتها. فللرحلة تأثير كبير قد يغيِّر حياتك. وربَّما مستمعوك ينصتون بشكلٍ سطحيٍّ فقط، منتظرين الفرصة ليتحدَّثوا عن تجربتهم الخاصَّة. تأكَّد أن لا شيء يمكن أن يسلبكَ تجربتكَ الشخصيَّة ولا أن ينقل تجربتكَ إلى الآخرين.

قد تكون هناك مجالات للاختلاف أو عدم اليقين، لكن لا بأس بذلك. فلا يرى شخصان كلَّ شيء بالطريقة نفسها. ولهذا السبب، نواصل احترام آراء الآخرين، ونبحث معًا عن الحياة الكاملة التي يحفظها الله لنا. فالهدف ليس التوافق التامَّ مع البشر، بل التوافق التامُّ مع الله. يمكننا أن نساعد بعضنا بعضًا في الطريق، لكن في النهاية، على كلِّ إنسان أن يخوض الرحلة بنفسه.

إنَّ السعي الروحي هو عمليَّة تستمرُّ مدى الحياة. فكما أنَّه لا يمكن إشباع الفضول البشريّ، كذلك لا يمكن تحقيق الرضا عن النفس في الوجود الجسديّ. وهذه هي طبيعة الأمور كما أوجدها الله. فما هي خياراتنا إذًا؟ لا يمكننا الرجوع إلى الأمس. فما حدث قد حدث، والغد لا يأتي أبدًا. ليس لدينا إلَّا اللحظة الحاضرة، وما نفعله في اللحظة الحاضرة هو خيارنا الوحيد. وما يُنفَّذ في الزمن الفعليّ هو ما له قيمة. وإذا سمحنا لعلاقتنا بالله أن تصبح راكدة، فسنكون نحن الخاسرين. فلنَعِشْ كلَّ لحظة من حياتنا إلى أقصى حدٍّ. ففي ذلك يأتي الرضا العظيم والمتعة الدائمة.

إذا وُجِدَتْ خدمة بإمكاننا تقديمها، رجاءً لا تتردَّد في طلبها منَّا. فنحن مستعدُّون دائمًا لمساعدتكَ في أيِّ حاجة روحيَّة، لأنَّنا رفقاء في الطريق، وحريصون على أن يعين بعضنا بعضًا في الطريق إلى الحياة الأبديَّة.

ملاحظة:

استُلهمت أجزاء من هذا المقرَّر من كتاب رودولف أوتو *فكرة المقدَّس*، الذي ظهرت ترجمته الإنجليزيَّة لأوَّل مرَّة عام 1923.

الاختبار

الآن بعدما وصلت إلى نهاية هذه الوحدة، يجب مراجعة المادَّة استعدادًا للامتحان الثالث والأخير بأسئلة اختيار من متعدِّد. عندما تكون مستعدًّا للامتحان، يمكنك فتحه من قائمة المقرَّر.

التحضير لأوَّل مقالتَيْن كتابيَّتَيْن لكَ

بعدما أكملت جميع اختبارات الاختيار من متعدِّد لهذا المقرَّر، أصبحتَ الآن جاهزًا لكتابة مقالتَيْن نهائيَّتَيْن. تجد أدناه وصفًا للمهامّ. ومع ذلك، قبل البدء بهذه المهامّ الكتابيَّة، يُرجى التوقُّف لحظةً لمراجعة المعايير مرَّة أخرى. وقد وردت أدناه الإرشادات، بما في ذلك الاختصارات المعتمدة لأسفار الكتاب المقدَّس.

من شأن أدوات الكتابة في قسم **التوجيه** أن تساعدك في تقييم مقالتك قبل تقديمها. هذه الأدوات متاحة على الإنترنت ويمكنك استخدامها لأيّ مشروعٍ كتابيٍّ—شخصيٍّ أو مهنيٍّ أو أكاديميٍّ. سيكون من المفيد لك التعرُّف على هذه الموارد واستخدامها.

تشمل هذه الأدوات:
PaperRater (1)، وهو مصمَّم لتقييم كتابتك في مجالات الإملاء والقواعد واختيار الكلمات.
WritingTester (2)، ويُعلِّمك بمستوى قابليَّة القراءة.
Grammarly Handbook (3)، ويتضمَّن مدقِّقًا نحويًّا عبر الإنترنت.

إذا أعددتَ مقالتكَ بلغةٍ غير الإنجليزية، فستحتاج إلى تمرير نصِّك عبر أداة الترجمة ثمَّ التحقُّق من الترجمة باستخدام الأدوات المذكورة أعلاه للتأكُّد من أنَّ النسخة الإنجليزيَّة سلسة.

يجب إعداد التأمُّلات الشخصيَّة والمقال المكوَّن من 2000 كلمة وفقًا لما يلي:

- إعدادها في مستند وورد.(Word document)
- كتابتها على ورق أبيض عادي.
- ترك مسافات مزدوجة بين الأسطر.
- ترك هوامش مقاس بوصة واحدة (1") من الجهات الأربع.
- استخدام خط Arial بحجم 10 أو 12 نقطة.
- الكتابة على وجه واحد من الورقة فقط.

يجب أن يكون المحتوى مكتوبًا باللغة الإنجليزيَّة مع:

- قواعد نحويَّة صحيحة.
- إملاء صحيحة.
- علامات ترقيم دقيقة.
- ترك مسافة مناسبة بين الكلمات والجمل.
- استخدام الأحرف الكبيرة في المواضع المناسبة.

اختصارات أسفار الكتاب المقدَّس

تُطبَّق القواعد التالية على كلِّ شواهد الكتاب المقدَّس. صحيح أنَّك قد تجد اختصارات بديلة، لكنَّ الاختصارات المدرجة أدناه هي الأكثر اتِّساقًا مع تلك الواردة في المنهج الدراسيّ، وتُعتبر معياريَّة لجميع المهامِّ الكتابيَّة المقدَّمة إلى **NationsUniversity** . وسيؤدِّي أيُّ انحراف عنها إلى خفض الدرجة. وإذا استمرَّ التجاهل في التقديمات المستقبليَّة، فقد يؤدِّي ذلك إلى رفض الورقة.

القاعدة 1. عند كتابة اسم سفرٍ كتابيٍّ في ورقة رسميَّة، يجب كتابة اسم السفر بالكامل إذا كان:
(أ) اسم السفر مذكورًا وحده دون الإشارة إلى الإصحاح أو العدد.
(ب) إذا كان اسم السفر متبوعًا برقم الإصحاح فقط.

وعندما يتبع اسم السفر رقم الإصحاح والعدد، يُستخدم الاختصار.

أمثلة:

- The book of Genesis contains fifty chapters.
- That discussion is carried forward in Genesis 2.
- Gen. 2:18 establishes that Adam was alone in the Garden.

القاعدة 2 .عندما يكون الاستشهاد الكتابيُّ جزءًا من النصِّ، لا يُوضع بين قوسَيْن، كما هو موضَّح أعلاه. أما إذا ذُكر كمرجع، فيُوضع بين قوسَيْن وتتبعه نقطة.

أمثلة:

- The author of Genesis carries forward the story of Joseph after providing important information about Judah and Tamar (Genesis 38).
- Adam was alone in the Garden (Gen. 2:18).
- Here's the Arabic translation of your text:

- **الاختصارات المعتمدة**
- الأسفار التي تحتوي أسماؤها على خمسة أحرف أو أقلَّ لا تُختصَر. أمَّا الاختصارات بشكلٍ عامٍّ فتتألَّف من الحروف الأولى من الاسم.

- **العهد القديم**

Genesis – Gen.

Exodus – Exod.

Leviticus – Lev.

Numbers – Num.

Deuteronomy – Deut.

Joshua – Josh.

Judges – Judg.

Ruth – Ruth

1 Samuel – 1 Sam.

2 Samuel – 2 Sam.

1 Kings – 1 Kings

2 Kings – 2 Kings

1 Chronicles – 1 Chron.

2 Chronicles – 2 Chron.

Ezra – Ezra

Nehemiah – Neh.

Esther – Esth.

Job – Job

Psalms – Psa.

Proverbs – Prov.

Ecclesiastes – Eccl.

Song of Songs – Song

Isaiah – Isa.

Jeremiah – Jer.

Lamentations – Lam.

Ezekiel – Ezek.

Daniel – Dan.

Hosea – Hosea

Joel – Joel

Amos – Amos

Obadiah – Obad.

Jonah – Jonah

Micah – Micah

Nahum – Nahum

Habakkuk – Hab.

Zephaniah – Zeph.

Haggai – Hag.

Zechariah – Zech.

Malachi – Mal.

- **العهد الجديد**

Matthew – Matt.

Mark – Mark

Luke – Luke

John – John

Acts of Apostles – Acts

Romans – Rom.

1 Corinthians – 1 Cor.

2 Corinthians – 2 Cor.

Galatians – Gal.

Ephesians – Eph.

Philippians – Phil.

Colossians – Col.

1 Thessalonians – 1 Thess.

2 Thessalonians – 2 Thess.

1 Timothy – 1 Tim.

2 Timothy – 2 Tim.

Titus – Titus

Philemon – Phile.

Hebrews – Heb.

James – James

1 Peter – 1 Pet.

2 Peter – 2 Pet.

1 John – 1 John

2 John – 2 John

3 John – 3 John

Jude – Jude

Revelation – Rev.

التأمُّل الشخصيُّ

أنتَ مطالب بالالتزام بعادات كتابة صارمة طوال فترة دراستك في **NationsUniversity**. تُقدَّم التعليمات الخاصَّة بالمهامِّ الكتابيَّة مع كلِّ مهمَّة. وإذا انتبهتَ جيّدًا للتوجيهات، لن تجد صعوبة في الحصول على درجات عالية. نبدأ بتعليمات كتابة بسيطة، ثمَّ نضيف إليها مع تقدُّم المقرَّرات. إذا أتقنتَ التقنيات كما هي مقدَّمة، فسوف تحقِّق أداءً جيّدًا في المهامِّ الكتابيَّة المستقبليَّة. أمَّا الإهمال وعدم العناية، فسوف يؤدِّيان إلى الحصول على درجة منخفضة أو طلب مراجعة أو رفض العمل.

يمكن إعداد التأمُّلات الشخصيَّة بأسلوبٍ غير رسميٍّ. أي يمكن استخدام ضمائر المتكلِّم مثل "أنا" و"ياء الملكيَّة". لن يُطلب منك الكشف عن حياتك الخاصَّة، بل تقديم تأمُّلاتك الصادقة حول المادَّة الدراسيَّة.

في الإجراء، طُلب منك الاحتفاظ بملاحظات حول سلسلة الأنشطة التأمُّلية التي تظهر في كلِّ وحدة، وحول أجزاء المنهج التي وجدتَها مفيدة أو محيِّرة. والآن حان الوقت لاستخدام هذه الملاحظات لإعداد تأمُّلاتك الشخصيَّة.

يوجد خمس وحدات في هذا المقرَّر، وكلُّ وحدة تحتوي على عدَّة تأمُّلات. عليكَ اختيار التأمُّل الأهمّ بالنسبة إليك من كلِّ وحدة والكتابة عنه في هذه المهمَّة. حدِّدْ بوضوحٍ التأمُّل الذي تكتب عنه. يجب أن يتراوح طول كلِّ تأمُّلٍ مكتوب بين 200–250 كلمة.

أعدَّ الورقة في مستند Word. يمكن أن تكون الكتابة بأسلوبٍ غير رسميٍّ، ولكن يجب مراعاة القواعد النحويَّة العامَّة والقواعد الإملائيَّة الصحيحة. وستُحتسب هذه الورقة بنسبة 20٪ من درجة المقرَّر. حمِّلْ المستند من خلال زر التقديم الموجود في قائمة المقرَّر ضمن الوحدة 5.

المقال النهائيُّ

عندما تصل إلى نهاية هذا المقرَّر، تكون قد تعاملت مع الروحانيَّة على عدَّة مستويات مختلفة. لقد ناقشت معقوليَّة الإيمان والروحانيَّة، والأسس الكتابيَّة، والتطبيق. وخضتَ الرحلة بالفعل. بالنسبة إلى طلَّاب عدَّة، كانت هذه الرحلة جديدة مليئة

بالمفاجآت. وبالنسبة إلى آخرين، ليست رحلة جديدة، لكنَّ المقرَّر قدَّم تحدِّيات للنماذج اللاهوتيَّة القديمة. وفي كلتا الحالتَيْن، حصل الطلاب على ثروة من المعلومات لاستخلاص استنتاجات حول مشروعيَّة البحث عن الروحانيَّة.

مهمَّتك النهائيَّة هي أن تستخلص استنتاجات شخصيَّة حول البحث عن الروحانيَّة. يجب أن تفعل ذلك من خلال معالجة النقاط الثلاث التالية:

1. ما الذي تعلَّمته من الكتاب المقدَّس وطوَّر فهمكَ للروحانيَّة؟
2. بأيِّ طُرُق تعزِّز فهمكَ للروحانيَّة؟
3. كيف شكَّل هذا المقرَّر والكتاب المقدَّس فهمك للعلاقة بين الحياة المسيحيَّة والروحانيَّة؟

ملاحظة: ليس هذا هو المكان للخوض في مناقشة موضوعات لاهوتيَّة ثقيلة مثل القضاء والقدر، أو الخطيَّة الموروثة، أو طبيعة الإنسان الساقطة. هذا المقال ليس تفسيريًّا لمسألة لاهوتيَّة، بل هذه المهمَّة في جوهرها، تطلب منك أن تنظر وتسعى بقدر الإمكان لتسوية وجهة نظرك حول الروحانيَّة مع ما يعلّمه الكتاب المقدَّس.

أعدَّ مقالك المكوَّن من 2000 كلمة في مستند Word، وقدِّمْه من قائمة المقرَّر ضمن الوحدة 5. انتبهْ إلى التعليمات المتعلِّقة بالشكل. المقال يُقدَّر بنسبة 20٪ من درجة المقرَّر.

عيِّنة كتابة

توجد عيِّنات كتابة للمقالات في دليل *Orientation to the Certificate in Biblical Studies* في أعلى قائمة المقرَّر BRS 100.

إليك الترجمة الكاملة للجدول إلى اللغة العربيَّة:

معيار تقييم المقالات

غير مقبول	مقبول	جيِّد	ممتاز	الفئة	الوزن
غير مُقنِع إطلاقًا	مُقنِع إلى حدٍّ ما لكن تبقى عدَّة أسئلة	مقنع إلى حد كبير لكن تبقى بعض الأسئلة	رائع! واضح ومقنع	**المضمون:** يشمل جوانب مثل: التركيز على الموضوع، واستخدام المنطق المُقنِع والمعقول، وتوظيف الأدلَّة والمصادر والأمثلة بشكلٍ مناسبٍ (إذا طُلب)، وتجنُّب الانتحال الأدبي.	85٪

الوزن	الفئة	ممتاز	جيّد	مقبول	غير مقبول
15٪	**الأسلوب:** يشمل جوانب مثل: التهجئة والقواعد الصحيحة والالتزام بدليل أسلوب NU من حيث التنسيق وبنية الورقة.	لا توجد أخطاء تقريبًا	توجد بعض الأخطاء لكنها غير مشتتة	توجد أخطاء تبدأ بتشتيت القارئ	الأخطاء مشتِّتة بدرجة كبيرة

ملاحظة: يقوم الأساتذة بإعطاء درجة رقميَّة واحدة تدمج بين هاتَيْن الفئتَيْن

Acknowledgements

Course Developer

Mac Lynn, STD, San Francisco Theological Seminary

D.Admin. (honorary), The International University

Contributor

David Srygley, D.Ed.Min., Southern Baptist Theological Seminary

Course Reviewers

DEAC Course Specialist

Myles A. Calvin, D.Min., American Christian College and Seminary

Gayle Crowe, D.Min., Harding School of Theology

NationsUniversity®

West Monroe, Louisiana, U.S.A.

©February 2023